

روایات رومانسیہ عالمیہ
عزیز



جانیت دیلی

ورده قایین



مکتبہ انصاری

وردة قايين

هل قتل

جايسون سافدج اخاه كما

فعل قايين في بدء الخليقة؟ وهل

تطارده تلك الليلة الرهيبة حين سقط اخاه بين

اقدام ثور هائج؟ عندما رحلت كولين مع شقيقها داني

الى مزرعه خالتهما لم تكن تعرف اي واقع مؤلم

ينتظرها هناك. لم تكن تعرف حجم الكراهية التي

ستواجهها ولا سبب ذلك الجرح العميق في وجه الرجل

الخشن الذي انقذها ليلة العاصفة... لكنها كبرت في

وقت قصير. لم تعد طفلة. لم تعد وردة صفراء

سريعة العطب. وعلى جايسون سافدج ان

يفهم ذلك تماما....

مكتبة حوران

١ - مطر... مطر

توهجت شعلة من الضوء وسط السحب الملبدة بالغيوم، تبعها صوت الرعد الذي يجعل القلب يارتفع نبض كولين ماكغوير وتتثبت أصابع يديها بفعل السيارة حيث كانت تجلس، وظلت عيناهما منبهتين على الزجاج والمساحات تحاول جاهدة، في يأس قاتل، أن تزيل الظلم المتناقص بغزارة، ثم تطلعت في خوف واضح إلى أخيها الذي كان يجلس وراء عجلة القيادة. وقالت له بصوت يشوبه الاضطراب، وأن كانت قد بذلت جهداً لكي تخفيه،

«داني... ألا تظن أنه من الأفضل أن تتوقف؟»

قال بدون أن يحيد بصره عن الفراغ المستدام أمامه:

«أين تقترحين أن نقف يا كولين؟ إذا توقفتنا الآن، فمن المحتمل ألا يبدأ المحرك في الدوران ثانية.»

رأت كولين الماء يتهمر على السيارة، فتمسكت قائلة:

«كان يجب أن تأخذ برأي الرجل وتعود إلى الكراج.»

قال داني بحدة:

«المسافة التي قطعناها تبلغ ثلاثين ميلاً... وكان انظر رذاذاً عندما بدأنا الرحلة.»

وكان داني قد انتهى التوثر وهو يقود السيارة عبر طريق تكساس

المتعرج، ولذلك أروف يقول بأحدة نفسها:

«كيف كان لي أن أنبأ بأن الطقس سوف يصبح على هذه الصورة؟»

«ولكن الرجل قال ان المطر سيكون سيئاً في الجبال. وقد يتعرض الطريق للفيضات... وهذه اللاتقات التي نراها...»

توقفت كولي عن مواصلة الحديث... إذ لاحظت إحدى لاتقات الطريق، على ضوء الاكتشافات الأمامية للسيارة، ثم استطورت تقول:

«في الجو المطر يجب أن تنبه عندما تقترب من مفترق الطرق».

صمتت ثانية، وندت عن صدرها صرخة خافتة، وقالت:

«أوه، داني، هناك لائحة أخرى».

«كولي... ألا تتكفين عن الحديث عن هذا المطر والرعدة ألا تكبرين وتتخلصين من مخاوفك الطفولية؟»

وتثبتت أصابعها بعجلة القيادة... وكأن حياته تتعلق بها، وروحه، لا يحب أن تفارق جسده. ثم تابع كلامه قائلاً:

«مستحيل فلا تقلقي».

رسمت كولي ابتسامة على شفيتها... وحاولت أن تبتلع مخاوفها وأشاعت بوجهها. وتطلعت عبر النافذة المجاورة، وأخذت تنضم بلا وعي أحد أظفارها، بينما كانت عينها ترابان الأضواء المتناثرة فوق التلال والجبال، وتخيل إليها أنها ترى أنبياءاً تتطاول قاماتها في اللهب، وعيناها ناعستين، واسعتين، وشعرها النبي تتأرجح خصلاته وراء أذنيها. ومع هذا... كان سرورها الطفولي جذاباً... ويشير بهمال غير طبيعي عندما تبلغ مرحلة التضج.

أبطأت السيارة التيفروليه الذهبية في سبورها عندما بدأت مخدق مفترق طريق تغمر المياه... فغادرت كولي رأسها، وتطلعت إلى داني الذي شعر بارتياح عندما نجح في اجتياز يركبتين من الماء وبدأت العجلات تظأ أرضاً صلبة مرة أخرى. وسألته:

«لماذا أقيمت هذه اللاتقات؟»

كانت كولي تحاول من خلال الحديث أن تتغلب على الاضطراب الذي بدأ

يبش في أعينها، وكانت تدرك أن أخفاها بدأ يلقى بدوره. وعندما فشل في العثور على اجابة سريعة، كررت سؤالها فأجابها:

«إنها لاتقات مخدق من وجود نسبة مياه مرتفعة».

وكشف وجهه عما يعانيه من توتر نتيجة قيادة السيارة، وتطلع بقلق إلى شقيقته قبل أن يعود بصره إلى متابعة الطريق. ثم قال:

«أنا متأكد أنه لم تبق أمامنا مسافة طويلة».

وبالرغم من محاولته تهدئة شقيقته فإن محاولته المتزايدة أشارت مزيداً من اضطرابها وكان داني أصفر منها بعشرة أشهر، لكنه كان دائماً يحتل مقام الأخ الأكبر بالنسبة إليها، يراقبها ويحميها برغم أنها بلغت العشرين من عمرها. قالت: «كان من الأفضل أن تخبر الحالة ليلهلينا قبل لدوسنا، على الأقل حتى يعرف أحدهم أننا هنا. لماذا لم تتركني أكتب إليها. وأخبرها».

انفقت ضحكة ساخرة من شفتي داني. ولم يكن يرغب في أن يعتبر عن مشاعره الخفية لأنه يعرف أن شقيقته رقيقة القلب لا تعرف أن كثيراً من الناس يقدمون المساعدة بدون أن يكونوا جادين في رغبتهم. أنها لم يلتقيا بالحالة ليلهلينا ولذلك تعمد ألا يكتب لها خشيبة ألا ترحب بدعوتها للاقامة معها.

راح داني يتطلع إلى شقيقته وهي غائبة في القعد المجاور له وجفناها بخطر بان كلما برقت الأضواء أمام عينيها، وأخذ يتأمل قوامها التحيل. وثوبها الرخيص... قبل أن يشيح بوجهه عنها... ثم حدث نفسه قائلاً: «ها هنا من حياة قاسية عاشتها أختي».

وكانت هي الحياة القاسية نفسها التي عاشها هو بدوره. إذ تزعرنا في كنف والد ماجن وحاول داني أن يحمي شقيقته من معاملة الأب السهلة لغير الامكان، اما هي فشعرت في أعينها بالارتياح عندما مات أخيراً في حادث اصطدام سيارة...

... وها هنا الآن في طريقها، والسبب نطلق لفرقة أخرى من الرعد لراحت كولي فشخصت يصورها نحو أخيها الذي تشبثت أصابعه بحجلة القليلة، وكأنه يضع ثقته في إصراره على مواصلة الرحلة، وأخيراً قال:

«يجب أن نسي كل شيء تركناه وراءنا، هذه هي الفرصة التي يمكن أن تبدأ فيها حياة جديدة، وتصنع شيئاً لنفسينا بدون أن نجد أحداً يشطب من عزيمتنا. أجابت كولي وهي تلمح في وجه أخيها:

«ولكن كان في وسعنا أن نعلق ذلك في سائت أنطوان؟ لو التفتت بعمل يمكن أن يوفر لنا مزيداً من المال، ويساعدنا على استئجار شقة فخمة، وفي وقت لاحق كان يمكنني أن أحصل على وظيفة أفضل، وأنت لديك العديد من الأصدقاء هناك».

قال بعنف:

«لم أحصل العمل في هذا المكان، أن يمر التفكير في زواجك من واحد من هؤلاء الأصدقاء بشيء تقززي، فعندما تفكرين في الزواج لا بد أن يقع اختيارك على واحد من الأشخاص ذوي المكانة، يوفر لك منزلاً، فخياً، وملابس فاخرة - يجب أن يكون شخصاً مهذباً ولغوياً لا يشبه كارول بأية حال».

واهنز جسم كولي عندما تذكرت الموقف الكرهه الذي حدث في تلك الليلة، فقد أخبرها كارول أن داني سيأخذ، ولذلك سوف يوافقها إلى بيتها، وحاولت أن تكون مهذبة معه لأنه صديق أخيها، وما زالت تتذكر حينه تلمحهاها في صمت ثم تضرع وجهها بلون الدم عندما انزلت فراجه حول ظهرها، وجهها نحوه، وقد حاولت أن تدفعه عنها، فاطلق ضحكة، وأجر وجهها على أن يقترب من وجهه... وأقربها الرغبة العارمة التي كانت تعمره على ملامحه... لكنها كانت عاجزة أمام قوته النهمية... ولم ينقلها إلا وصول داني الذي أمره بلهجة حازمة بالانصراف ورجل كارول وهو يمشيها بعينها.

وأفادت كولي من ذكرياتها على صوت الأمطار تهطل بشدة، وراحت

وواجه داني و كولي سنوات فلسية في بداية حياتها، فلي غشون عام أصبحت أمها بأزمة ريو - وعاشت الأسرة محرومة من أسباب الرفاهية، وتعاني من فقرات البطالة التي يتعرض لها داني الذي لم يكن أجره يكاد يكفي أفراد الأسرة، ومع ذلك رفضت الأم أن يترك المدرسة... لها يكاد الجرس ينفق ايلذاناً بانتهاه اليوم الدراسي حتى يسارع داني إلى العمل، بيتا تنوجه كولي لرعاية أمها، ولم يكن أمامه متسع من الوقت حتى يتمتع بالرحلات أو يعقد الصداقات ولم يكن يفكر في هذا كثيراً، أما كولي فكان عليها أن تنجز كل شؤون البيت... بالإضافة إلى غرض أمها، وقطعت كولي تفكير داني عندما سأله:

«لماذا لم تذكر أمي الحقة قبلهلمينا»

هو داني كنفية، وقال:

«لا أعرف، ولكنني سعيد أن لها حالة»

«ألم تشعر بالحرق، عندما فكرت في الحضور إلى هنا، وتقديم نفسك إلى امرأة غريبة عنا تماماً... لا تعرف بوجودنا حتى يوم كتبت لها أول رسالة، تخبرها فيها أن أمنا ماتت».

كانت كولي لا تغيل إلى الاختلاط بالناس، وتعرف عن عقابلية الغريبة، فقد كانت تشعر بالعجز، وبالعزلة، وكان هدوها يدفع الناس إلى تسيان وجودها، مما زاد في تحملها، وأنها لتذكر جيداً ما حدث. وبعد أسبوع من وفاة أمها، كانت تساعد أخاها على إعادة ترتيب صندوق ثياب أمها، فإذا باضطراب غريب يعمره عندما يمر على رسالة تحت مجموعة من الصور، فيبحث بها إلى هذه الفرية المجهولة، وهو يصلي ألا تكون قد ماتت... وبعد مضي أسبوع جاء الرد، فحملته داني إلى المطعم، حيث تعمل كولي كمضيفة وأخبرها بأن تقدم استقالتها من وظيفتها، كم كان يشعر بكرامية لعملها في المطعم، نظراً لما يتعرض له من عبث الزبائن، انه لم يجد أبداً فكرة قيام كولي بخدمة الناس الذين لا يستحقون خدمتها، وتعلمت لديه هذه المشاعر، عندما رأى كارول يحاول

تراقب يدهو أسواء الاكتشافات الأمامية للسيارة التي كشفت عن مفترق طريق آخر تكسوه المياه والتي تصاعدت عالية أمام اندفاع السيارة. وشعرت بشفتيها يحاول أن يغيز من اتجاهها. وكانت الثلاثة تشير إلى أن المياه بالغة العمق. فصاحت:

«داني، إن المياه عميقة، وستفشل في اجتيازها»

لبدا وجهه شاحباً شحوب الموت وهو يبذل جهداً ليجتاز المياه... وما كانت السيارة تصل إلى الجانب الآخر من الطريق حتى توقف المحرك عن الدوران... فتلاحقت أنفاس كولي والتفتت إلى أخيها بنظرات لوعة، وراحت تراقبه في يأس وهو يحاول أن يبحث الحياة في المحرك ولكن بدون جدوى. وكرر «داني المحاولة ولكن المحرك أصغر على ألا يدور برغم توسلاته ومحاولاته. وتطلع إلى كولي وقم فائلاً:

«أسف يا كولي، علينا أن نترك السيارة. دعيني أخرج من الباب المجاور لي أولاً»

غادر «داني» السيارة، وفار حوثاً تحت مظلة المنهر، حتى القرب من الباب المجاور لتعد كولي ومد ذراعه لمساعدتها على الخروج، ولكنها اعترضت قائلة:

«أستطيع أن أسير»

ولكن «داني» حملها على ذراعيه، حتى عبر بها مجرى الماء... وعندما ولقت:

قالت له:

«داني يخبر يا «داني»... وأستطيع أن أقدر أمري»

اجتم مزهواً بها قبل أن يبحث بعينه عن المدينة التي لفتها السحب الداكنة. وثقلت بصره عند حدود ياهية لمكان برزت منه صخرة فأشار إليها وقال:

«هل تشاهدن هذه البقعة التي تبرز فيها الصخور عالية؟ أريد منك أن تتجهي إلى هناك لتحتمي بها وتنتظريني. شاهدت درياً على الجانب الآخر قد يقودني إلى أحد البيوت فأطلب من أهله المساعدة صاحت كولي:

«لا يا «داني» دعني أذهب معك... أنني لست طفلة»

قال لها:

«ليس هناك داع للهابنا سوباً سأعود إليك بأسرع ما يمكن»

ولم يتح لها أية فرصة لمعارضته، ولكنه غاص على الفور في المياه التي تغطي مفترق الطريق وراقبته. وهو يسبح في المياه العميقة حتى وصل إلى الضفة الأخرى. ولوح لها بما يدل أنه وصل سالماً. ثم اختفى عن عينيها حيث ابتلعها الظلام الذي كان يكتنف المكان.

وروقت كولي في سكون تراقب الطريق الخالي، وأرعدت السماء، فدفعتها إلى الحركة، وشعرت بالليل في ثيابها والشمس خفية في أوصافها. وتطلعت إلى الطريق. ثم ألقت ببصرها إلى عليها وراحت تحطو خطوات بطيئة وهي تنتزع بجهد قدميها من الأرض الموحلة.

وثقلت كولي أربع مرات لتسبح الماء عن وجهها وقد راحت أسنانها تصطك من شدة الزمهرير. لكنها راحت تواصل سعيها حتى بلغت قاع الوادي. وكان الطريق المؤدي إلى التل يتحدر بميل قليل... وأدركت أن عليها أن ترتفع لكي ترتفع... ولم تستطع أن ترى قمة التل إلا على ضوء البرق الذي أضاء السماء فتنهدت في يأس. وبدأت تأخذ سبيلها.

ولم يسعها نعلها على أن ترتكز بقدميها على الأرض الموحلة، لذلك كانت تستعين أحياناً بيديها لترتقي التحدّر زحفاً على ركبتيها وتقلعت أنفاسها وهي تثبت بأصابعها في الأرض حتى لا تترك إلى الخلف فتعود من حيث بدأت.

وأصحت بيد لسك بذراعيها، واليد الأخرى تشاط ذراعيها الأخرى، ووجدت نفسها تقف على قدميها فأطلقت ضحكة خافتة من بين أنفاسها للقطعة. وامتدت يدها الموحلة لمسح شعرها وقد صوّرت لها أفكارها أن «داني» نجح في محاولته وأنه عاد.

وصاحت باكياً:

«أوه... «داني»»

ولكن الكلمات تعمدت في حلقها، عندما رأت أمامها رجلاً طويل القامة

يرتدي ثيابه، وأستطاعت على ضوء البرق أن ترى في وجهه لمحة قصيرة سوداء.
وكان يلف جراح أسود اللون وراء رأسه يمتزج حوافه بتق الأرض بقوة.
واستجبت كوكي لنفسها، وإن بدت متلعثمة وهي تتحدث.
«أنتي... ذهب... سيارتنا».

أجاب الرجل بصوت جاد وعميق.
«رأيت كل شيء...»

ورأته يمتطي جواده، وسألت نفسها: «هل سيرحل، ويتركها وحدها؟» ولكنه سار
بمحاذاتها حتى توقف إلى جانبها. ولما مد ذراعه لها، خالت في بادئ الأمر، ولكنه
صاح نافذ الصبر:

«تعال... لا نستطيع البقاء الليل كله تحت هذا المطر».

وتصورت أنه لن يتوقف أن يمتطي معه الجواد، ولكن التفكير الشديد دفعها
إلى أن تدبعا إلى يده، فوجدت جسمها يرتفع بلا جهد عالياً ليستقر أمامه على
الجواد.
وسأله:

«إلى أين نحن ذاهبان؟»

ورأته يلف جسمها بعطفه الوافي من المطر، وكأنه يعني أن يقبضها السيل
المهمر. ثم أجاب وهو يضم قوائمها التحيل الطلولي إلى صدره:
«هناك كوخ على الجانب الآخر من التل... ستذهب إليه».

وحث الرجل جواده على السير، وشعرت كوكي بدلمه جسمه يسري في
أوصالها بالرغم من القشعريرة التي كانت تهزها وهي في ثيابها المبتلة، وكان قلبها
يخفق بقوة كلما لمحت في أن الرجل الغريب يضمها إلى صدره، ولكن هذه
الدقات ضاعت في أصداء البرق ولمعة الرعد ووقع الحوافر التي كانت تصاحب
سقوط المطر. وبددت كوكي الصمت الذي خيم على رجليها عندما سأله:

«ماذا كنت تفعل الآن... في هذا المكان؟»

أجاب سلفاً:

«كنت أبحث عن الحيوانات المرساة».

«لاذهب أخني ليبحث عن مساعدة... وسيعود مع أحد ليعينه على إصلاح محرك
السيارة».

قال لها:

«لن يعثر على أحد في مثل هذا الطقس. فضلاً عن أنني رأيت السيارة وهي
تخوض في المياه، قبل أن أغتر عليك، إن نسبة الماء مرتفعة الآن ولا تسمح بالسير
وعينها ذهب أخوك عليه أن يبحث عن ملجأ يأتي إليه كما تفعل نحن».

وأفركت كوكي من ليرة صوت الرجل الغريب أنه على جانب من العلم.
لهذات تتحدث إليه ثانية، لكنها توقفت عن الحديث عندما لاحظت ملامح مبنى
أمامها، فأوقفت جواده أمام كوخ مظلم، وأزحمت حتى استقرت واقفة، وهبط هو
بدوره ووقف إلى جوارها، ليلي رأسها يعطفه. ورأيتها حتى الباب ودفعه بكتفه
فالتجرج بصري عال وتابعت خطواته وهي تحملن حولها بدون أن ترى شيئاً، بينما
«الرجل الغريب إلى اليسار حيث أشعل عود ثقاب يده الظلام قليلاً، وأرقد مصباحاً
أرسل أشعة من الضوء إلى كل أركان الغرفة، وتابعت بهصرها وهو يحمل المصباح
حتى استقر في وسط الغرفة، ثم رجع الغريب أمام المدفأة وأخضع النار في المطبخ.
وبعد ذلك توجه إلى سرير يقع إلى جوار المدفأة وتناول بطانية ودفع بها إلى
كوكي، وأمرها قائلاً:

«اغلصي من هذه الثياب المبتلة، ولقي جسمك في البطانية».

سأله لاهة:

«إلى أين أنت ذاهب؟»

وتأملته جلياً على ضوء المصباح، فاستعرت عينها عندما رأت ندبة تشق وجهه
اليسرى. فأجفلت، ثم حدثت فيه فزع بهصرها على عيتين زرقاوين محدقان فيها
بهروج، وأخيراً أجاب عن سؤالها قائلاً:

«سوف أذهب لأعنتني بأمر الجواده».

لمتت كوكي قائلة:

وتركها الغريب وغادر الغرفة وصلى الباب وراؤه فتحوّلت تطلب الدفء من نار المدفأة، وتساءلت:

«لو أن أخاها قُتل في العصور على أحد، فأنها ستمضي ليلة قاسية وسط العاصفة، أما الآن فهي تستمتع بدفء النار وتستظل بسقف».

خلعت ثيابها ليحيا ثم نظفت ثوبها الليل، ووضعت على ظهر مقعد بجوار النار، وأحست برجة قفست البطانية حول جسمها، وأقتربت من دمج النار طلباً للدفء.

وانفجرت الباب، ودلف الغريب إلى الغرفة ورلح قبضته عن رأسه تالفة الصبر، وتخلص من معطفه وقد راقبته كولي وهو يضعها على منجى معلق في ظهر الباب، ثم ألجم نحر المدفأة وبدأ يحلّ أزرار قميصه، وعندما تخلص منه رأت تنكبه العريضين وصدره يكسو شعر أسود غزير، وحينما شاهدت جسمه العاري انتابها الزبح. فشدت البطانية أكثر إلى جسمها ولكن بصره انتقل منها إلى ثوبها الملقى فوق المقعد... فعاد إليها والشرر يتطاير من عينيه وقال:

«قلت لك اخلي ثيابك كلها».

انصرفت حديثاتها خرقاً، عندما رأتها يبلل عليها، وازدادت فرحاً عندما شاهدت الندبة فوق وجهه، ولكنه ترقق... وقال وهو يصرف أسنانه:

«رأيت ملايس داخلية نسائية من قبل... إذا كان ذلك مصدر قلقك».

وأتت في عينيه قسوة شديدة، ولم ينتظر أي تعليق من كولي وإنما سار إلى الجانب البعيد من الغرفة، حاملاً معه المصباح، وثبتته فوق مسار بجوار الحزانة. وقال لها:

«سأرى إذا كان عتدي شيء نتناوله، بيننا تتخلصين أنت من ثيابك، هل أنت جائعة؟»

وهزت كولي رأسها بالإنجباب حين لم تفارق عينها الرجل الغريب، فقد استمر يحدق فيها، ثم قال:

«هل أراقبك وأنت تخلصين ثيابك».

وأدار ظهره لها، وبدأ يفتح أبواب الحزانة، وراحت كولي تبحث عن مكان تتوارى فيه لتزج بقية ثيابها، بعيداً عن عينيه. وحملت الثوب، وألقت به على الفراش. وأقامت من البطانية ستارة تستطيع أن تخلص ثيابها وراؤها، والتفتت أنفاسها عندما سمعت الغريب يضع الماء، وأدركت أنه مشغول عنها. وأنها في مأمن منه، وبدأت تنزع ملايسها الداخلية، وانسابها رطبة من عرجها ومن برودة الجو، فأسرعت تقف البطانية حول جسمها، وفي ذلك الوقت أقبل عليها قائلاً:

«هناك شيء ساخن، سأحضره عندما تكونين مستعدة».

«سأتناول قليلاً منه».

راح الغريب يتأمل قدميها العاريتين، ثم حدق في أنفها وعينيها، وكانت عنها، كالمرأة تعكسان محاولة كولي الهائسة في إخفاء اضطرابها وأخيراً قالت:

«أنا فتاة في التاسعة عشرة».

وكأنها كتبت تريد بذلك أن تدافع عن أنوثتها، فيما كان منه إلا أن قال لها:

«هذا الطعام سيكون جاهزاً في الحال».

سألته كولي:

«هل لي أن أساعدك في إمكاني أن أطهو».

وشعرت بحرج عندما رفض مساعدتها، وتقدمت إلى المائدة، وجلست على المقعد وأخذت تحتسي الشاي في صمت. وبعد مضي دقائق امتدت يده ووضعت أمامها طبقاً مملوئاً بهجات البسطة والبطاطس، لشكرته كولي بدون أن تتطلع إليه ثم تناولت الشوكة لتتناول طعامها. وعندما جلس الغريب على مقعد يقع إلى يسارها، قال لها:

«هال ليس طعاماً مثقن الطهو قاصداً، ولكنه ساخن».

وكانت كولي تصارع بيد لتتناول الطعام، بينما راحت اليد الأخرى تلمس البطانية حتى لا تنزلق عن جسمها، وبلغت محاولة لغطية كنفها بالبطانية خمس عشرة مرة، مما اضطرها أخيراً إلى أن تدفع الطبق بعيداً عنها وهي تشعر بنهني

الحق.

وأخيراً نطلع إليها وسأله:

«هل تحتاجين إلى مزيد من الشاي؟»

عزت كولي رأسها بالنفي، وراقبه وهو يجهز على الطعام الذي كان يلا طيله، ثم نهض ليسكب لنفسه فنجاناً من الشاي. وسألته كولي وهي تشاهد عضلات ذراعه الممتلئة العارية وهو يقلب السكر في الفجان:

«هل توجد مزرعة قريبة من هنا تضم منزلاً يمكن لأخي أن يملكه؟»

نطلع إليها بنظرة كلها كبرياء، ثم قال:

«منزل آل سمسون الذي يقع على مسافة ثلاثة أميال من مفترق الطريق، إلى أين كنتما ذاهبتين؟»

أطرفت كولي برأسها ونظمت إلى شرح في المائدة، ثم قالت:

«للاقامة مع خالفتنا، أخي ذاتي قال إنها تعيش في مكان ليس بعيداً عن هنا، في مزرعة.»

وضع فنجان، وتحول نحوها وهو يسأله:

«ما أسم المزرعة، أو اسم خالفتك؟ ربما أعرفها.»

شعرت كولي بنظرته اللطيفة، فتلعتنت وهي تقول:

«أسمها فيلهلمينا فرائجر، وهي تعيش في مزرعة سلاش أس. هل المكان بعيد عن هنا؟»

عندئذ رأت التوتر يكسو وجه الغريب، بعد أن رددت عبارتها أمامه، ثم سأله:

«هل تشوق وموولكيا؟»

«هي دعيتا... هل تعرفها؟»

دفع مقعداً إلى الراء، ونهض والفاً ثم قال:

«أجل، لا بد أنك تتعمرين بالبريد، انهي وقفي إلى جانب النار... وسأقوم بغسل الأطباق.»

عادت تسأله باستمرار وكانت لا تبغي أن يتوقف الحديث بينهما، لأنها وجدت

شخصاً يعرف خالته.

«هل تعيش خالتي قريباً من هنا؟»

«أجل، أنت الآن في مزرعة سلاش أس.»

شعرت كولي بالارتياح، فسألته:

«هل تعمل عندها؟»

«كلا، إن أخي وهو زوجها ين يملك المزرعة ويملكك أن تقول بأنني أعمل عنده.»

وكانت الكلمات تخرج من بين أسنانه المظيفة، ولم تشجعها نظراته الجريئة على أن تطرح عليه مزيداً من الأسئلة، وجلست هادئة في مقعدها، وراحت تراقبه بجميع الأطباق، ولم تستطع أن تعرف السبب الحقيقي في رغبته... هل هو الجيرة أم الخوف؟

ونفضت من مقعدها، واقتربت من المائدة، وظفت تحديق في الألسنة المشتعلة، وراحت نظره الاحساس الذي راح يطاردُها بأنها هي و ذاتي انتظا من موقف محي إلى آخر أسوأ. هل غضبه الشكوكم الذي شاب صوته؟ أم إلى تلك اللذية الموجودة على وجهه؟ لو أن ذاتي كان معها الآن لاختلف الأمر تماماً.

وأصبحت بحركة وراها فالتفت، لكنها لم تلبث أن استعادت هدوها عندما رأت رغبته يرفع المخذات عن السرير، وكانت فرصة لأن تنصت لملاحمه الخفية، وهو يضع المخذات وراها ثم قال لها:

«استعمرين مزيد من الدفء، افا لحت أمام المائدة.»

سألته كولي وهي تجلس القرفصاء:

«هل أي مكان مستنم أنت؟»

راح يقلب النار، ويلقي بعض الخطب في المائدة، ثم قال:

«على المقعد، اعتدت على النوم في أماكن وعرة.»

سألته:

«هل تعرف خالتي جيداً؟ اننا لم نلتق بها من قبل، وأستأيل ما هي طبيعتها؟»

أجاب بانتصاب:

«أحياناً تجديتها عاقلة، وإن كانت آراء الناس ليست دائماً صحيحة»

بدأت كولي تقول:

«ولكن...»

قاطعها القريب قائلاً:

«أظن أن من حق على الأهل أن أعرف اسم الفتاة التي سامني الليلة معها»

تصرخ وجهها بلون الدم، وقالت:

«كولين ماكغوير، ولكن داني يتاديني كولي... انني أسفة لسلوكي عندما

رأيت تدببك، أفزعني الرعد من قبل وعندما عثرت على، وبدا الغضب عليك

فزعت منك، وأظن أن منظر التدبة فاجأني، منظرها ليس شيئاً بل يبدو كعلامة

للإساءة في معركة ضارية»

وكانت كولي تحاول باتسة أن تعالج الصدع الذي نشأ بينها وبين الغريب،

ولكن ابتسامته الساحرة كشفت عن قتل محاربتها، فتطلعت إلى يديها وقالت:

«أسفة... كان الأجدر بي ألا اتفرغ بكلمة»

قال متردداً:

«لا عليك يا كولي، إن مغاربتك تختلف عن الوصف الذي يصفني الناس به...»

هست كولي بهفافة:

«تقصد التدبة»

وقلت أن استعيد الكلمات إلى جولها في اللحظة نفسها، لكنه حلق فيها بهدوء

قبل أن ينهض من مقعده ليطفىء نور الصباح، وكانت أسفة النار المشتعلة في

المسلة تلمحي بسلوكها على المكان المظلم، وتراقص على صفحة وجهه، وعندئذ

أخبطت كولي تقول:

«انني أسفة... أنت تقصد...»

قاطعها بصوت رقيق:

«يجوز هنا أن تنام»

شاب كولي الاضطراب، فتصدت وراحت تحرق في النار، لكنها رفعت

رأسها، وتطلعت إلى الرجل الجالس على المقعد، فرأت رأسه يستريح على ظهر

المقعد، مغمض العينين، وكأنها أحس بنظراتها لفتح عينيه... وشخص بهصره

نحوها وسألها بدون أن يغير من جلسته:

«ما الأمر؟»

سألته كولي:

«انني لا أعرف اسمك»

قال وعلى شففيه ابتسامة شاحبة:

«جيسون، وأصدقائي يتادوني جيس، طابت ليلتك يا كولي»

«طابت ليلتك يا جيس»

٢ - اهل المزرعة

ولم يجد الجواد قوائم عالية ليخط سبيله في هبوط المنحدر، ومع حركة خطواته الرشيفة، أخذت كوكي تتأيل فوق ظهره بصحبة جيس. وكان السرج يتألق بحمرة فاتية تحت أشعة شمس الصباح، وفي بداية الطريق وقف شخصان بجوار سيارة، يراقبان وصولها، وعزلت كوكي أعدهما، أخوها. وعلمت أن الشخص الآخر لا بد أن يكون صاحب المزرعة الذي طلبه داني مساعداً.

وعلى الرغم من أن كوكي شعرت بارتياح لرؤية شقيقها، لكن الخوف الذي أعترها ليلة أمس لم يفتح مع نور الصباح، لأن رفيقها جيسون كان مقلاً في حديثه معها في هذا الصباح. لقد طرج قبلها ليلدة سرج الجواد، وعندما عاد لال لها ومرحباً، ووجدتها انتهت من ارتداء ثيابها، واعتصم الشاي الذي أعده لها، أخبرها أن الجواد أصبح على أجرة الاستعداد ليحملها إلى أخيها. وكان هذا هو الجمل الحديث الذي دار بينهما خلال الخمس عشرة دقيقة الماضية.

كانت هناك أسئلة عديدة لتت كوكي أن تطرحها عليه، كانت تريد أن تسأله عن خالتها وعن المزرعة وعن كل شيء، ولكن الشقاء المطبقة، والملامح الصارمة أغلقت باب الحديث، ولم تبال. فلن تلبث أن تعثر على اجوبة عن استئجارها غير أن القشعريرة التي كانت تسري في أوصالها أوحى اليها بأن هذه الاجوبة لن تشفي غليلها.

بدا وجه داني جالداً وهو يساعد كوكي على النزول عن ظهر الجواد. كانت

عيناه قلقين عندما رأى شويها الرجل، وشعرها الاثني عشر عاماً يعني بلا شك أنها صاعدة متاعب.

«وكان يولي في أن يعرف ذلك، فسالها

«هل أنت بخير يا كوكي».

«أجبت له قائلة:

«أجل... أنا بخير».

قال داني: «وكانه يحاول أن يؤنب نفسه».

«حاولت أن أعود ليلة أمس، لكن المياه كانت مرتفعة، وكنت أجنّ عليك، خائفاً على حياتك من غف العاصفة، ليشي أظنك معي».

«أجابت كوكي: «لقد اصطلي وجهها بحمرة الخجل».

«كل شيء على ما يرام، هناك كوخ على الجانب الآخر من القل أفضيت فيه ليشي».

«اتجهت بوضوح إلى حيث يقف جيس متحدثاً مع الرجل الآخر، وتبع داني بوضوح نحو الرجل الذي جاءته معه على ظهر الجواد، ثم قال:

«السيد جيسون أخبرني بالمكان، لكنني لم أجد فكرة فشك في العثور عليه».

«تطلع داني نحو الرجل ثانية، وسأله:

«هل عاملتك معاملة لطيفة».

«أجابت كوكي وهي تتجنب نظرات الشك التي تراود أظفارها:

«أجل، كنت خائفة في بادئ الأمر لكنه يعمل في مزرعة شقيق زوج الخالة قبلهينا، انها لا تملك المزرعة يا داني».

قال داني:

«أعرف ذلك».

«وحاول أن يكون صوته متأسفاً حتى لا يشعر كوكي بأي خوف قد يبعث الاضطراب في نفسها، ثم أضاف يقول:

«جئت ثيابنا من السيارة، فقد خلفتها الفيلة ليلة أمس».

سألك كولي.

«هل سيدور محرك السيارة؟»

أجاب داني.

«ليس قبل أن نسحبها من الخرج، ونقوم بفحصها، وحتى ذلك...»

ولم يواصل حديثه، وأما تطلع إلى وجه شقيقته، وقرأ الفلق في ملاحظتها، فلأن الحادثة قبيلهمينا لم تستطع أو لم تقبل مردودها فاته من المتعذر عليها العودة، ليس معها نقود، وليست لديها وسيلة يعوتان بها، ومداول داني أن يستجمع شجاعته فأتاه:

«لا تقلقي يا كولي... ستجسم الأمور... أعدك بذلك».

«ولكن يا داني... ماذا يحدث لك؟»

فأعلمها الرجل استعداد الرحيل، «عينا بنا نرحل الآن».

أجاب داني وهو يتقدم شقيقته إلى مكان السيارة حيث يقف الرجلان:

«هيا بنا يا سيد سيمسون».

وراحت العينان الزرقاوان اللامعتان تدرسان داني باهتمام وهو يلثم كولي إلى صاحب المزرعة. في حين كانت ملامح داني تبدو رقيقة وهو يتطلع إلى وجه جيس. فجلبت بصره الدبة التي برزت واضحة بين شراحيته، كما أسرته نظرات عينيه النافذتين، ولكن في قلبه المرة فشل «داني أن يقرأ ما يدور فيها». إذ أسدل جيس قناعاً كثيفاً فوق وجهه ومد داني يده ليصافح جيس قتلاً:

«أريد أن أشكرك لاهتمامك بشقيقي».

ومد جيس يده ليصافح داني. وهو رأسه مهيأ، ثم أمسك اللجام في قبضة يده قبل أن يتطلى جواده، فبدا وجهه مخفياً وراء حافة قبعتة، ثم لزم يده مردعاً، وبدأ يستحث جواده ثم يمدو بعيداً عنهم، بينما كانت كولي تنابحه بنظراتها، وثابت إلى وشدها عندما سمعت سيمسون يقول:

«أوه... إنه رجل بارد».

وتطلع داني إلى سيمسون في رية لكلماته، وود أن يجد تفسيراً لها.

ولكن صاحب المزرعة أردف يقول:

«هيا بنا».

وجلس داني وشقيقته في عذوة في القعد الأمامي إلى جوار سيمسون، وأطلق باب السيارة كأنه أغلق آخر باب في قصة هروبها، إذ كان عليها أن يراجعا المجهول، منذ تلك اللحظة.

أخفت شمس الصباح تسلل من الشاكر المبدلة. وتدهر على اللغة الناعمة في فراشها. وكانت العصفير في الخارج تغرد بحماسة نسم الفساح، كأنها تدعو كولي لتسقيطه واستجابت الفتاة. وراحت تنفض التوم العميق عن جفنها. وعندما لمحت عينها، انتهت الدفعة لروية المكان الغريب الذي يحيط بها. وزحقت ذكرى الأمس إلى قاعها، فأستوت على السرير، ثنت ركبتيها، وثبتت ذراعها حولاً وأجست بمرارة أحداث الأمس، وهي تحدق بعجز في الزهور المرتصة على أوراق الجفران.

تذكرت لحظة في السيارة التي كانت تسعى حثيثاً إلى مزرعة سلاش أس بيتاً الصمت يلحم على المسافرين الثلاثة. حاجت الأفكار السوداء عقل كولي وتسللت: «هل يملك داني القريب أم جيت سيمسون هو الذي أثار عائلتها من جديد؟ إنها تدرك أن داني عرف شيئاً زرع للفتة، لكنه لم يجرها بزيد من التفاصيل».

وتوقفت السيارة أمام منزل من طابقين، يتألق بلونه الأبيض وسط أغصان أشجار البلوط شعرت كولي بالفرح لجمال المنظر، لكن الفرحه تهدت عندما قال سيمسون:

«أسف أيها الفتى... يبدو أن الرجل الحسن يجلس الآن في الشرفة، وهذا ما أمنت. لكن علي أن أصحبك اليه».

وما كانت كولي تحاول سؤال داني عن قصوى حديث السيد
سيبسون حتى وجدت شقيقتها يفتح الباب. ويقفز السيارة تبعته وهي
تحاول أن تزيل البقع عن ثوبها. وتعيد لتشط شعرها المتشعث. ثم أخذت تقضم
ظفرها بظن. عندما تصورت لحظة مقابلتها للشخص الذي أشار إليه سيبسون
بقلب الرجل المسن

كان يجلس على مقعد متحرك ولده سيبسون باسم بن سافدج.
قطعت اليه كولي. ووجدته أشبه بالنسر. أعالته السترات الى سر طاعن ذي
عينين ذوقار بن جالتا بقعة من وراء شعر حاجبيه الكثيفين ورأسه المكسو بشعر
أبيض وخصلات رمادية. وقد كشفت بشرة وجهه المتهدلة سوء حالته الصحية.
أشد السيد سيبسون يشرح له أن داني و كولي ابنا أخت
فيلهلينا. وهما هنا لزيارتها. كما أخبره بما حدث لسيارتها. وأنها أمضيا الليلة
في مزرعته. وراح بن سافدج يرأبها في حرس أثناء حديث سيبسون.
ورأى يفتح الرجل التي نظمت ثوب كولي وأتركه من منظرها ومنظر أخيها ابها
ليسا مسوري الحال. فلم يلق بكلمة ترحيب لها. وأخيراً قال بإسماة مأكرة:
«كم تفتت روية آخر الأتارب الفيليلين» فيلهلينا موجودة الآن في حديقة
الزهور وسأقيد اليك غداً.
وأدار مقعده المتحرك وتركها. بينما كان يهدده كالسيف المسطع على عنقها.

دخلت الحالة ذات الشعر الأبيض غرفة نوم كولي التي كانت تابعة في
القراش تستعيد شريط الأحداث. فقالت لها:
«هل استيقظت الآن يا عزيزتي؟ كان الاعياء بدأ عييك. فلتت لنسي. دعي
الطفلة الصغيرة تتأخر في نومها هذا الصباح»
سألتها كولي بانزعاج وهي تنفخ من قراشها:
«أوه... خالتي هل التوت متأخر جداً لا أريد أن يظن العم بن أني أتأخر دائماً
في نومي»

وأشارت الحالة على كولي: «داني بأن يتقيا السيد سافدج بالنعم
بن برلمانه لا تربطها به أية صلة قرابة مباشرة.

لالت فيلهلينا وهي تفتح كومة من الملابس في درج الخزانة:
«هري ما رأي بن فيكيلا؟ ماغي جلبت بعض ملابسك أسئلة يا كولي
أن أخبرك بذلك. ولكن مياه النهر شوتت كل شيء... انظري الى هذه القفزة
أصبحت بيضاء... وهذه البلوقة...»

ورفعت فيلهلينا تنورة بالية. وبلوزة بيضاء ممزقة قبل أن تضعها في
الأفراج. ثم أردفت تقول:
«يجب أن تقوم بجولة في الحقائب. لم أفعل ذلك منذ سنوات».

وتوجهت كولي نحو المرأة. التفتت لرشدة وراحت لتشط شعرها. كانت تشعر
بالفضيق من ملابسها الرثة. ولكن فيلهلينا لم تجبر سارت حتى وقفت
ورادها. وأتاحت لها قوامها أن تدير في المرأة أطول من كولي. لتناولت القراشة
منها. وبدأت تساعد على بلوزة. وقالت لها:
«شعرك يحتاج الى تصفيفة جيدة. ولو أن أمك ووزائي كانت هنا لأشارت
بقصده»

عزت كولي رأسها في صمت. لها السيل الى أن تغير الحالة بأنها لم تصطف
 يوماً شعرها على يد اختصاصية. ولكن الحالة أدارت الفتاة نحوها. ورفعت يديها
بأصابع طليت أظفارها بطلاء أحمر غشخت. كولي بصعها اليها. ورأت
شخصها فاضتين. ونظارتها مثلثة الاطراف فوق عينها. قالت الحالة:
«اسمى يا عزيزتي. أعرف أنني سيئة عجوز حقا. فليح عقل عني أحياناً
والسواء لم تفهمنا... أنا وزوجي بن أي أطفال. ولكنها الآن أعطيتي أنت
و داني ساميني اذ أبدر عاطفية لأبدي. كما تزين أصبحت شيئاً عالياً بالنسبة
الي»

اجتمعت كولي وتفرقت الدموع من عينيها. ثم قالت:
«أوه خالتي»

وتفرقت السموع في عتبي الخالة أيضاً. ولكنها بذلت جهدها لكي تكلمها.
وأخيراً قالت:

«حسنًا... يجدر بنا أن نجلسه. ولا نتجربنا باليكاد. ويحسن بك أن تسارعني
بإرتداء ثوبك. فقد أعدت مائتي طعام الاقطار في الطابق الأول. أسرع
الآن».

أصبحت الخالة وهي تدفع القتا بمرح على الفراش قبل أن تغادر الغرفة عالية
الروح. وعندما غاب شبحها، استوت كوكي جالسة على الفراش لثانية وعقدت
ذراعيها فوق صدرها. والروح بكاد يهتز علقها، لأنها حس بأنها مرغوبة.
وبسرعة تخلصت من ملابس النوم وبدأت ترتدي ثيابها.

وقعت كوكي يدها على الفراش. وبدأت تهبط درجات السلم. ولم تكده
تبلغ الدرجة الأخيرة. حتى انفتح أحد الأبواب المطلة على الصالة وخرج رجل
نعيل. أسود الشعر. وشاقي إلى سمعها صوت بن سالدج صاعداً من داخل
الغرفة وهو يقول:

«وهل أخبرت جيس بأنني أريد تحريراً كاملاً عن غيليد حان الوقت الذي
يجب أن يعرف فيه أنه ليس من حق أحد أن يغيب عن المزرعة مدة ثلاثة أيام
بدون أن يفتنسي كما أريد أن أعرف أين قضى هذه المدة، ومإذا كان
يفعل؟» أجاب وهو يهز رأسه قبل أن يفتح الباب:

«أجل يا سيدي».

وعندما استدار ليراجه كوكي رأت ملامحه حذيرة بالاحترام ولاخطت أن
وجهه نحيل وشعره أسود وانفجرت شدة عن ابتسامة رقيقة عندما وقع بصره
عليها. ومد يده تحيياً. وهو يقول:

«حسنًا... صباح الخير.. لا بد أنك كولين، أخبرتنا الخالة بكل شيء عنك».

مدت يدها له بدورها. وقالت:

«كيف حالك؟»

«أستطيع أن أقول إنها تسيت أن تحدثك عني، أنا توني غوردون ابن العت
الرجل الكهل».

نظمت كوكي نحو الغرفة المغلقة. وتابع توني نظراتها قائلاً:
«إنه لي حادثة طيبة اليوم. أين كنت ذاهبة؟ إلى غرفة الطعام؟»
هزت رأسها بالاجياب. فأرؤف يقول:

«سأصحبك. لن أستطيع أن أمكث طويلاً لأنه على الذهاب للبحث عن جيس،
والمفروض أن أقابل أخاك - ونقوم بجولة في المزرعة»
وأصك بذراعيها. وقادها عبر الصالة. فسألته
«هل التقى أختي مع السيد سالدج هذا الصباح؟»
«كان خارجاً من مقابضه. لحظة دخولي الغرفة».

ثمست قائلة:

«أرغب ألا يكون أخي قد اغضب».

فصاح توني وقال:

«أعرب خالي بن... بتور كلها سمحت له الفرصة. وأعتقد أن دورك أت لا يجب
لي ذلك».

قالت كوكي: «وقد طارفتها روحها المرحمة وهي تدخل إلى غرفة الطعام».

«كان من المفروض أن لأذهب للتحدث إليه هذا الصباح».

قال توني مداعباً. وهو يسحب مقعداً لتجلس عليه كوكي.

«والمعكوم عليها بالاعدام... شيعها مفتوحة لتناول طعام الاقطار».

زجرته فيلبي التي كانت تجلس إلى المائدة. قائلة:

«توني. كف عن هذه المضايقة».

«والتي أعزج يا خالتي العزيزة».

ولكن المزاج أقسى شهية كوكي. وكانت الخالة تقدم إليها الأطباق الثلاثة.

«لا تجبري الشئاً له يا كولين، أسرع يا توني فلن نأكل في انتظارك
خارجاً».

لروح تربي بيده جودعاً كولي التي رسمت بصعوبة ابتسامة على شفاهها، تروى بها على حجبته. وعندما بدأت تشاول الطعام لم يجد أدنى شهية. فقامت الخالة:

«عزيتي كولي، لم تأكل شيئاً...»

أجاب كولي معذرة:

«أشفت لا أشعر بأدنى رغبة في الطعام. في أي حال أنا دائماً نحيلة. ولا أستطيع أن أزيد وزني.»

رشت العجوز غيرة، وقالت:

«مشعرين بالامتنان لذلك ذات يوم.. ونحن نترجعي لنحافظك. أنا متأكدة أن هناك كذبات من عرافات الأزياء يحدثنك على قوامك.»

كانت وهي تحاول أن تغطي على صرتها نبرة مرح لتخلي المرح الداخلي الذي يؤملها:

«ولكن العارشات يتمتعن بوجود جلالته.»

قالت الخالة:

«لكنك لست قبيحة كما تتصورين يا كولي، إنه مجرد شحوب يمكن علاجه. والأمر إذاً لم يزل من طعمك، فإن يتيامن بريد رؤيتك على أفراد في مكتبته.»

بحثت الخالة من مقعدها، وراحت تسوي ثوبها بيديها، قبلالات المراتم في أصابعها، ثم أرددت تقول:

«لا تغطي بداعيات لوني.»

نهضت كولي بدورها وهي تقول:

«بالطبع لا، يا خالتي.»

وشعرت بساقها لا تقويان على حملها وهي تسير نحو المكتبة، وسألت نفسها: لماذا تشعر دائماً بالخوف من أي شخص ومن أي شيء؟ «دائي كان يلق دائماً إلى جوارحه ليتشبهها من الزائف الفرجة، لكنها في هذه المرة لا تحبه، وعليها أن تجابه المولف وحده. والرجل الجالس على المقعد المتحرك لا ريب سيسخر منها، أنه

مرضى مرضي أمها عاماً، ولا بد أن العم بن يعاني من الشكيلة نفسها. أمها كانت لا تحب أن تقوم كولي بإجراء أي تعديل في البيت، وتتسكك بما اعتادت عليه... وهذا يلزم حسب غلب العم بن لوجودها هي و دائي في البيت، فالحال يشيعان الفوضى في منزله، ولكنها لم تحف من أمها، فلماذا إذن تخالف من بن؟

تألق برين في عينها عندما طرقت باب المكتب، وسعدت صرناً أجلس يقول:

«ادخلي... ادخلي...»

دخلت إلى داخل الغرفة، وكانت الستائر مائلة فوق التوافد الحجب ضوء الصباح، بين الظلام بكسو الجدران، وبشبح الكاية في المكان تطلعت إلى الرجل الأنثى القابع وراء المكتب، وسألته بأدب:

«هل ترغب في أن أضيء النور؟»

زم لائلاً:

«ما الأمر؟ ألا تستطيعين الرؤية؟»

«المكان معتم قليلاً.»

«من الخيانة استعمال الكهرباء في وضع النهار، إنه تذكير للظلمة.»

اقتربت عليه وهي مترددة:

«أستطيع أن أزيح الستائر جانباً.»

«أنت تصرين على ذلك، أليس كذلك؟»

«الشمس تلمي مزبداً من الضوء...»

«عشاً... أزيحي الستائر... إذا كان هنا يتركه.»

وسارت كولي نحو النافذة وأزاحت الستائر جانباً فسمحت لضوء الشمس أن

يلتحم الغرفة، فقال سائراً:

«هل طاب لك الأمر؟ تعالي هنا، واجلسي، والآن أستطيع أن أراك جيداً.»

استلقت لأمره، وجلست بهدوء، وأحست بنظرانه المزدان فيها، وشعرت أنها فهي روعة المرأة الساحرة التي جعلت منه إنساناً، ومنحتها قليلاً من الشجاعة،

وأخيرة قال:

«ألا تصنعين شيئاً لشعره؟ يبدو كأنك نسيت تشييطه؟ والآن دعينا نناقش العمل الذي ستقومين به. اعرفي أنه لا مكان لانساق بعيش هنا بلا عمل. كل شخص عليه أن يجري على رزقه أو أن يرحل... وأنت ما العمل الذي تصلين له؟»

أجابت كولي:

«أستطيع أن أظهر، وأظفك البيت، وأقوم بالطبخ على الألة الكاثبة».

«لدينا مديرة منزل، والبيت ليس كبيراً لبححتاج إلى اثنين، كما أنني لا أحتاج إلى عاملة على الألة الكاثبة. ألا تفعلين شيئاً آخر؟»

«لعل يتصرفني أمي عدة سنوات».

زيمر وهو يجاهد ليرفع جسده عن مقعد المتحركة، وقال:

«لست في حاجة إلى محروسة».

قالت كولي متلعثمة وقد ارتست خطوط القلق على جبينها:

«التي... التي لا أقصد».

صاح بن وراح يسبح شعره براحة:

«أخرجي... أخرجي من هنا».

بدأت التموج تترقق في عيني كولي. وقالت:

«أسفة، أنا لا أحسن مواولة العديد من الأعمال».

«سأجيد لك عملاً لتقومين به. والآن أخرجي من هنا. يكفيني ما سمعته من أخيك».

هل أبة حال. أن حالتك مستحاج اليك بطريقة أو بأخرى».

فنهضت كولي من فوق المقعد وأختر يسري في أوصافها، ومن خلال

التموج التي ترفلت في عينيها رأت بن يشبث بعصبية في مقعد المتحركة...

لقد عظمت كل شيء. كان عليها أن تفكر مدى حساسية الكهول المسكين تجاه

عجزه. وكان الأخرى بها أن تكون لينة معه... وقد ارتكبت خطأين منذ وصولها:

أولها مع جيسون - والثاني مع العم بن. متى تتعلم كيف تطلق قهها؟

وعندما بلغت كولي باب المكتب، التفت وراءها وانتهت نحو العم بن

ورداً ص ٢٦

وهي تبحث عن كلمات تعالج بها قطأها ولكن صورة النجوم التي رأتها على وجهه جعلت الكلمات تتوقف في حلقها. فأغلقت الباب وراها.

وبعد ساعة تجولت في البساتين الظليلة حيث كانت خالتها منهكة في علها بين الزهور. وكانت الحالة تردي للغاية وليس له مفضلاً، وتضع قبعة من القش لتقي وجهها من أشعة الشمس. فاقترعت كولي منها بطلاء، وحاولت أن تصرخ الكلمات لتشرح لها لشلها في اللقاء الذي تم بينها وبين العم بن... سألتها حالها.

«عزيزتي كولين، أين أمضيت كل هذا الوقت؟ ألا تحبين الورود؟ إن لها أشكالاً بدعة لا تكف عن إدخال السرور إلى قلبي... البراعم حشة وديقة، والزهور أبيضت وتفتح، والطرير يعنى المكان براحة الزكية...»

وانتظرت الحالة أن تلتقي تأييداً لكلامها من كولي التي كانت مشغولة عنها بأسباب الفلق التي أثارها حوارها مع العم بن. لسألتها الحالة:

«ما الحكاية يا عزيزتي؟ ألم ينجح حديثك مع بنجامين؟»

هزت كولي رأسها في وجوم. فزعت الحالة الغفاز من بينها، ووضعت راحتها فوق كتف الفتاة، وسارت بها نحو مقعد يقع تحت شجرة بلوط وأوقفة الظلال، وقالت لها:

«اجلسي... وأخبريني بكل ما حدث».

بدأت كولي تسرد ما حدث، وكان حديثها متعشراً، غير مترابط وانتهى بها

الأمر أن انطجرت باكياً. فحاولت ليلالي أن تهدئ من روعها، وقالت لها:

«لا... مهلاً... كان الأجدر أن أشير إلى مدى حساسية العم بن لموضوعه. أنا واثقة

أنه سيحتار لك قياً بعد عما يترجمته، فهو يجب أن يصر أن نفسه أنه لا يعتمد على

أحد... ويوم يجد نفسه عاجزاً عن القيام بأمر ما تتأبه لثورة عارمة. انه يعرف

أنك لست من النوع الذي يعنيه بطورته».

أخذت كولي تيكبي وهي تلوي أصابعها في عصبية، وأخيراً قالت:

«أرسل ذلك يا خالتي... لقد حاولت أن أعطرها له».

ورداً ص ٢٧

ومن الأفضل ألا نقول شيئاً ونظاهري بأن الأمور سارت سيرا حسنا وانني
ثورته.

ولكن الذي حدث أنه غصية.

«أنا؟ الموضوع ثانية لن يساعد على تحسين العلاقة بينك وبين بنيامين هل
أنت مصرة على إثارتته؟»

«لا...»

وبدأت كولي لمسح دموعها، وراحت تحاول الانسحاب في وجه خالتها التي
قالت:

«سندري فكرة، بنيامين يجب تناول الشاي قبل الصدا. لماذا لا تدعينني إلى
الطبخ، وتطلين من ماضي اعداده ثم احليه له... كنوع من حيازة السلام»
«حسناً»

نهضت عن القعد بينما كانت الخالة تغطيها:

«فسي قطعاً لمأش مبلة بالماء الباردة فوق عينيك، وألا أدرك بنيامين من
عينيك المحراوين، وجفيناك المبلين أنك كنت تبكين ويحسن أنك مذنية»
«تحت أمرك يا خالتي»

وتوجهت كولي نحو البيت، ودخلت من الباب الخلفي إلى المطبخ كانت ماضي
تنظف بعض الحظيرارات، وبسرعة وفتت إلى جوارها وقالت لها:

«خالتي اقترحت أن كان في وسعك اعداد ابريق الشاي، لأقدمه للعمم بن»
أجابته المرأة بمسرة:

«الآبريق على اقله، والضميد على المضدة، والشاي سيكون معداً بعد قليل»

قالت كولي وهي تسخر بخوف دقيق من حذيرة القزل:

«سأحمله اليه بعد أن أغسل رجلي».

قامت كولي بوضع كبايات من الماء الباردة على عينيها حتى اختلفت الاحرار
منها، وكانت وجعها شاكبين، فقامت بغصها حتى تضربت بالحمية وشعرت

بتحسن واضح، فأسرعت عائدة إلى المطبخ، ووجدت ابريق الشاي فوق الصينية

مع الشبان والسكينة.

لأنت ماضي وهي تحمل الصينية:

«إذا كنت تريدين لي أن أعود اليك وأساعدك في الظهر، فاتي علي استعداد
لللمسة»

قالت ماضي:

«انني أقوم بالظهر منذ ثمانية عشر عاماً... وأعتقد انني أستطيع مواصلة العمل
لمدة ثمانية أعوام أخرى».

تركتها كولي بدون أن تنقر بكلمة، وشعرت بسعادة وهي تسعى نحو
مكتب العمم بن... على الأقل تريد أن يعرف بن أنها لا تكن أية مشاعر

عذوبة نحو. ولكن على بعد خطوات قليلة من الباب المقصوح، تناهى إلى
صوتها صوت أحدهم... وعرفت أنه جيسي يتحدث إلى بن فتلا:

«فقدنا أربعة رؤوس من القطيع في القيصان».

قال بن بالاضطراب:

«كان يجب أن تبع أحد العمال للبحث عنها...»

قال جيسي بصوت يشوب ليرة العناد:

«كنت في حاجة إلى الجراء...»

غفل الكهل بسخري:

«أوه... حقاً... هل لمكت ذلك؟ كنت أفظن أنه من الأفضل أن تترك العمل نهائياً»
قال جيسي بصوت عالٍ، وهو يؤكد على ملارج كلماته:

«يجب أن تعرف من الآن فصاعداً، أنني لن أترك عملي، ومابقى هنا طالما بقيت
برصة واحدة من أرضي سالفج، ويجب أن تتقبل هذه الحقيقة».

ودفع الفضول كولي إلى أن تسير حتى القرت من الباب لتري الرجل
المرضى المبكين قبل يوجهه على المكتب ليواجه الجالس على المقعد المتحرك.

وكانت المرأة وانكزاعية مرسنتين على وجهيها... وقجأة صاح بن:

«يجب أن ترحل! لن يحصل أي قاتل على حبة تراب من هذه المزرعة».

«لكن... ألقِ بي خارج المزرعة».

ولمعت كولي عندما رأت وجهه بين يديه القصب لساعه كلمات
جيس الذي استلزم قاتلاً بحرية:

«أنا لا تستطيع أن تفعل شيئاً، فضلاً عن أنك لن تستطيع إذا كان في وسعك
أن تفعل. لأنك تحتاج إلى نوني الغالب سيدمر في أسير واحد كل شيء يشبه
طوال حياتك... أنت تحتاج إلى».

وعزك بن مقعده المتحرك في ثورة غضبه، فوضع بصره على كولي فأجفل.
وأستدار نحوها، فقالت كولي:

«أحضرت لك الشيء يا عبي...»

وخيم الصمت على المكان إلى أن قطعه «بن قاتلاً».

بأعضره يا لثاقه.

هرعت كولي ودلفت إلى الغرفة، فارتج الفئسان على الصينية وكان كل
فكرها في ساق رهيب. هل سيخبر جيس العم بن أنها أمضت الليلة في
كوخه أثناء العاصفة؟ ماذا ستقول إذا حاول العم أن يقدم جيس لها ولكن
يبدو أن بن لم تكن لديه أية نية للكلام.

وضعت الصينية على المكتب، فقال لها:

«شكراً لك... يمكنك أن تذهب».

هزت رأسها واستدارت وتطلعت إلى جيس... كان ما زال غير حليق الذقن...
وان كانت لحيته قد أوشكت أن تغطي تدهته... ورأت عيبه الزرقاوين الباردتين
تتحسناها. فتدهت عنيفة أمامه، وهي تشعر أنها متجربة إليه بالرغم من خوفها
منه تماماً كما حدث في تلك الليلة التي أحضتها معه، وبذلت جهدها لتتوب إلى
رشدتها ونفراً عاربه من الغرفة...

٣ - زهرة أم اميرة

وقفت كولي في غرفة نومها وراحت تنطلع من النافذة، وهي تقضم أظفارها
بلا وعي. لقد ارتقت درجات السلم وثباتاً لتسبيل لوبها، لأن الحالة أخيرتها بأنهم
اعتادوا عند سنوات طويلة أن يرتدي الجميع ثياباً أنيقة عندما يتناولون طعام
العشاء... صحيح أن المرء يفضل الجلوس إلى المائدة في ثيابه المتريفة، لكن صورته
ستكون مزرية وهي تختلف تماماً عنها لو ارتدى ثياباً أنيقة تجعل منه انساناً
جديداً، وتبعث جواً منعشاً، يدفعهم إلى الاتكال على الطعام. ووجدت كولي في
حديث خالتها الرأي السديد، كما أن مثل هذا الجو سوف يبعث الشاعر المضطربة
التي تحس بها.

كانت كولي ترى في هذا البيت، الحلم الذي راودها طويلاً، لحجراته واسعة
ومريحة، والحالة جذابة عطوف، حتى التكهل بن وجنته شخصية محبوبة بالرغم
من خشونته، هذا ما بدا منه ظاهرياً، أما في أعماقه فكانت تلوح لها أشياء غريبة
لا تعرف كتبها أشباه قد تدمر احساسها بالأمان، ولعكرت في جيس، ورأت أنه
الشخص الذي لديه الفئاض لكل الحفايا، أنه الرجل الذي أنقذها من العاصفة،
والإنسان الذي جعلها تشعر بالأمان والحماية بالرغم من الحول الذي يسه في
أعماقها.

تطلعت كولي الى نطوش الزهور المتناثرة في ثوبها. وشكرت ماضي لانها
أزالت بقع الطين التي لوثته صحيح أنه أفضل ثيابها. ولكن كولي تذكر
لأنما أنه لا يغفل عن ثياب الحالة الدافئة. انه ثوب رخيص مع أنه يختلف عن
بالي ملابسها لأنها اشتريته بظروفها. ولم يكن عديداً من أحد
وأثقت بصبرها غير الفائلة... وانماها الدفئة عندما رأت شقيقها يعبر بوابة
الحديقة. لما نظعت تفاهر طرفتها. وتهبط درجات السلم بسرعة وتتوجه الى الباب.
في تلك اللحظة دخل آخرها. فصاحت فرحة:
«داني... كنت أقرب قدومك»

التي يلزاعه على كتفها وسرا لواء السلم وهو يقول:
«ماذا كنت تفعلين طوال اليوم»
ثم عدلت كولي بعبورها قائلة:
«وأتأت ماذا كنت تفعل طوال اليوم؟ لعلت قبل أن أستيقظ وانقضت وحيداً على
حافة اللدا»
سأل مهنساً:

«ألا يمكنك أن تخبرني أين كنت؟ شيء إذن»
صاحت وهي تستنشق لهما عبقاً من رائحة ثيابها من كتفه:
«ألا...»

قال وهو يقطعها أمامه لتجتاز الدرجة الأخيرة من السلم:
«عهدوا لي بتطهير حظائر الماشية»
ضحكت كولي وقالت:
«ممكن يا داني»

وراحت تارجم يده في مساعدة. وهما يجتازان المصالة في طريقهما الى غرقته.
وقالت له:

«شكراً لسياء... اسمع. من المقروض أن ترتدي ثياباً أنيقة عندما تتناول طعام
العشاء. والا لنفقت الحالة أن تسمح لك بالجلوس الى المائدة. هل تعرف ماذا تعني

لربما ارتداء الثياب لتناول طعام العشاء»
قال وهو يحمل أوزار قميصه:
«أجل... عني. أخيراً بذلك. والآن أخيراً ماذا كنت تفعلين»
«لا شيء»

انصرفت عيناها في دهشة وهو يقول:
«لا شيء... هل تحدثت الى الكهل»
جلست كولي على القرائش. وقالت:
«أجل»

ولكن أنكارها لم تكثرت بالمقابلة بقدر ما كانت تدور حول الحديث الذي دار
بين بن و جيسي وعاد داني يسأله:
«وكيف سارت المقابلة»

«على خير ما يرام. قبل عدك أنه لا يعرف ماذا هو يفعل بي»
راح داني يرفع كمي قميصه الى ما فوق عنقه. ويعمل على تسويتها
والتصميم للآلة:

«لا تقضي ايدياً. أخبرتني سأترن دفع نفقات الممتلك هنا. فأكد لي أنه لا مانع
عند»

ابتسمت كولي بدورها. وعادت تسأله:
«ما رأيك فيه يا داني»

نهل داني قليلاً قبل أن يجيب قائلاً:
«أحب... حقاً. أحب. أنه حسن. ويقول كل ما يعني له... ومع ذلك لماني أحب»
«وأنا كذلك»

عندما كنت أنظف حظيرة الماشية. فكرت فيه وكيف أنه لا يستطيع أن يأتي
ليؤكد من أنني أقوم بوظيفتي خير قيام. لا بد أن يكون قاسياً ولا لمشت
أفهامه... انني أشعر بالأسف له. ولا يمكنك إلا أن تحس بالشفقة نحو رجل مثله.
حتى لو كان عاجزاً. لقد قلت ذلك لتولي. ولكنه أنفجر ضاحكاً. ولا أظنه يفهم

وفي هذه اللحظة، تذكرت كوكي الكلمات التي قالها جيس للرجل الكيل: إن ترمي القلبي سيندر في أسبوع كل شيء حسنته طوال عمرك. وجلست كوكي صامتة على الفراش والخبرة نتجاذبها. وتتساءل هل تغير ذاتي بالاشياء التي سمعتها أم تظل؟ ولكن أخافا حذبا من يدها لتتنهض عن الفراش. وقال لها:

«من الأفضل أن تدفري الغرفة... سأستحم وأبذل ثيابي وعدبك بعروني. سأنتظي بك في الطابق الأرضي».

قلت:

«أمرتك».

ولما دبرت الغرفة في تراج، بدون أن تحدوها الرغبة لأن تقضي اليه بما سمعته. وفي ذلك الوقت وصل الى سمعها صوت حائلها أتيا من الطابق الأول. وهي تدعوها:

«كولين... هل أنت هناك؟ هل يمكنك مساعدتي صاغي في اعداد المائدة. ثم أحضر الزهور بعد. والآن كنت عاوتتها. ثم أعرف أن موعد طعام العشاء قد حان».

أجابته كوكي:

«لا صانع لدي...»

وأخذت تبيض اللوحات قفراً. ولما بلغت آخر السلم. سألتها الخالة:

«هل أخوك مستعد الآن؟»

هزته كوكي رأسها بالنفي. فضاغت الخالة على ثغتيها بعصبية واستطردت تقول:

«حسناً... الرجال لا يستعملون وقتاً طويلاً في ارتداء ملابسهم».

ودفعت كوكي امامها الى غرفة الطعام. وهي تقول:

«القضيات في خزانة الصنبي. أما باقي الأدوات لمهي عند صاغي في المطبخ».

وتطلعت كوكي فوجدت ستة أطباق فوق المفرش البلي بكسو المائدة

«هل ستناول صاغي طعام العشاء معنا؟»

«أوه... كلا يا عزيزتي. انها تقول أن الصوم والحيوط يفسد جهازها الهضمي».

ولذلك ستناول طعامها فيما بعد».

سألتها كوكي:

«لكن لمن يكون الطبق السادس؟»

«أوه... ألم أخبرك. عقيد بنيامين سيأتي الليلة لتناول طعام العشاء. والآن

أسرعي بإعداد المائدة. لأن الرجال سيأتون بعد لحظات».

قامت كوكي بوضع القضيات على المائدة. وملأت الأكواب بالماء الثلج

وأحضرت غلب الملح والقليل. والزبد والسكر من المطبخ. ودخل ذاتي الغرفة

عندما بدأت الخالة وضع القصصات الأخيرة للمائدة. فسألتها ذاتي:

«هل الطعام جاهز؟»

أجابته الخالة وهي تتراجع وتتأمل المائدة:

«ستجلسن خالاً... ذاتي، كم أنت أتيت؟»

فرحت كوكي للشاء الذي أطرت به ذوق أقيها. وكان قد ارتدى قميصاً

أبيض. وسروالاً ومادي اللون. ليذا جذاباً وخاصة بوجهه المنور والبلال الذي

أختلط بشعره. فجأة تردت خمسة أصوات في الزدفة فقالت الخالة وهي تقوم

بتثبيت صفيوف العقود فوق صفيوها:

«لا بد أن الرجال قدامون».

فالتفت كوكي و ذاتي الى الباب. فرأيا بين قائداً على مقعد. للتحرك

وهو يقول:

«هنا أكيد الطعام جاهز الآن...»

أسرعت الخالة تقود المقعد المتحرك الذي يجلس عليه الرجل العجوز حتى يوقف

رأس المائدة. ثم أجابت قائلة:

«الطبخ يا بنيامين. أنت تعرف أننا عائلة نتناول طعامنا في مثل هذا الوقت».

وتبع توتني الرجل الكهل الى غرفة الطعام. وهو يتشم في وجه داني ويربب على ظهره. ويسأله:

«كيف حالك الآن؟ هل ما زالت عضلاتك مشدودة؟»

ابتسم داني. وهو يتطلع الى الشخص القادم الذي وقف مشملاً عند الباب. ثم استدار برأسه نحو توتني ليقول له:

«داني هذا ما... ذلك أنني على ما أظن لم أتعد العمل بعد».

هو توتني رأسه. وقال بسخرية:

«استعداد على العمل...»

ثم استدار الى الباب. وتابع كلامه:

«لا أملك يا جيس هذا التلبت بضميرك الجدد».

وقفت كولي تحدي في الرجل الذي وقف عند مدخل الباب. وقد أزال لحيته فكشفت عن قوة عظمي وجشيه. وبرزت حدة خط فكه. ولم تكن تدبته واضعة في وجهه كوضوحها أول مرة رأته عندما كان شعره طويلاً. ولم تغد عيشاء برقعها المثلث... وبدا أكثر شباباً... في حوالي الثلاثين من عمره. وكانت ملاسده مختلفة تماماً. فقد ارتدى سروالاً فضفاضاً أزرق اللون. مع قميص أزرق فاتح. كان باختصار شخصاً متيناً أمراًقياً. وسار الى الأمام. وسعدت كولي. وهي في شبه غيبوبة صوت حالتها تقوم بمهمة التعارف. قالت لجيس:

«أقدم لك أولاً ابنة أختي كولين. وشقيقها داني. وأقدم لكيا جيسون مانتج. حفيد العم بن».

خذ جيس يده لتحية داني. وقال:

«أنتي مقتر التجربة القاسية التي خضتها لمواجهة الفيضان».

هو داني رأسه في حيرة. ثم صافح يد جيسون. وأجاب:

«كنا نخطوطين الا استطعنا أن نبلغ مزرعة سيسمون».

فاستدار جيس نحو كولي قائلاً:

«أنتي سعيد بلقائك».

وضعت كولي يدها في يده العائقة. وصالحته. يدون أن تقوى على الكلام. واحة ابتلعت ريقها. وانصرفت على خز رأسها. ثم تنهت صوت ماغي الى اسراع الجميع وهي واقفة عند باب المطبخ تسأل:

«هل ترغبون في تناول الطعام الآن؟»

فلق بن مزجراً:

«طبعاً. أنا ما جئت لأجلس هنا... بحثاً عن مكان أفضل».

قالت الحالة:

«جيا يا ماغي... أنا مستعدون لتناول الطعام. وتذكر يا بنيامين أن العراك على المائدة يقيد الجهاز الهضمي».

حسب جيس المقعد الأسير للجوار المقعد جده. لتجلس عليه كولي. قبل أن يتوجه ليجلس الى يسار فيلهلينا. ونظمت كولي يتردد الى أخيه الذي جلس الى يوارها. لكنه قطب جبينه وأشار إليها خفية بأن تلتزم الصمت. وراحت تراقب الألباني غر من العم بن الى توتني ثم جيس فالحالة. وحاولت أن تبدو غير مبالية مثلما يفعل الآخرون. وأن تتخذ قناعة أشبه بالقناع الذي يرتديه جيس لكنها فشلت في محاولتها. فقد كانت تقفز في ملهها كلها تلهو بن بصارة. وهي تتوقع في كل مرة أن يبدأ الجدال أو يسره الجو توتر إذا التزم الجميع الصمت.

سأفا توتني. وقد أخرجت شغفه عن التسمية

«ماذا فعلت اليوم يا كولي؟»

تلمعت كولي. وكادت الشوكة تسقط من يدها. وقد اصطخ وجهها بحيرة القجل. وهي تقول:

«ساعدت الحالة في الهدنة».

سأفا وهو يرمق خاله بن بطرف عينه:

«وماذا قرأ العم بن أن يعهد اليك من عمل فتاده».

تجويت كولي عيني توتني وأعطفت برأسها وهي تنظر لاهية الأنفاس ما

سوف يقول لهم بن. انها لم تخلص بأي شيء الى توتني حول قتل الحوار
الذي دار بينها وبين لهم بن.

اجاب بن مقلطاً بيته:

«انها غير جديرة بالصل في أي شيء سوى الزينة. والطريقة التي تبدو فيها الآن
أكبر دليل على ذلك. عليك يا فيلهلينا أن تفعلي شيئاً لشعرها انه أشعث
والهائج»

قال توتني مداعباً:

«مثل شعرك تماماً يا خالي»

هتكت بن في ابن اخته توتني وقال له:

«لا تكن وقحة»

ثم استدار بوجهه نحو الحافلة وراح يلوح لها بالشوكة في الهواء وأردف يقول:
«استري لها ثياباً أنيقة. وفي المرة المقبلة يجب أن تأتي الى المائتة في ملابس
مناسبة حتى لا يبدو منظرها كالمشردة»

بان الحجل والاذلال على وجه كروي. فغطت بصرها حتى لا يلفتني بنظرات
جيسون الذي أخذ يحدق فيها. ثم تطلعت بسرعة الى أخيها. ورجعت وجهه
ازداد احمراراً. وأظلم شفتيه على غضبه. إذ كان هذا المكان بالنسبة اليها هو
البيت الذي سوف يؤولان اليه بأي ثمن. حتى ولو على حساب كبرياتها
زهرته الحافلة قاتلة:

«بنيامين. هل من الضروري أن تكون لظلاً للفايدة أحياناً تنظر الى الليالة في
الحديث. أعددت العدة لاصطحاب كروي في جولة تنوم بها نساء على الحوائيت.
أغلب ثيابها أقصدها مياه القيصان وبالطبع كان لا بد أن تبدو ملاسها في حافة
سيطة للفايدة»

قال جيسون وهو يبتسم بالشماسة الى كروي لكي تتسكك بأعقاب الفلة:
«أنا متأكد أن كروي سوف تستمتع بالرحلة»

فكانت الحافلة وهي لقد شغفها وقد رست عليها انبسامة لتيمت الأمل والثقة

في قلب كروي:

«لا شك في ذلك. كل الفتيات يستمتعن بالتجول بين الحوائيت»

كانت كروين والكلمات تعثر على شفتيها:

«أجل... ستكون جولة ممتعة تدخل السرور الى نفسي»

قال بن:

«كلام فارغ. ان النساء يحبن بديد التفود»

ومذ بدء. وأراحها على ذراع كروي. وأردف يقول:

«ولكنك يجب أن تكوني حريصة على اختيار ثوب فاخر مناسب لطعام العشاء في

الغد. أتوقع أن أرى فتاة جذابة تجلس الى جوارى»

وكتبت كلماته أوتار قلبها. وأحست به وكأنه يقدم اعتذاراً عن خشونة معها.

وشعرت بأخيها قد استرجع قلباً.

وصاح بن قاتلاً:

«ماهي...»

وتبتعداً أطلقت برأسها من وراء الباب. أردف يقول:

«استناروا القهوة في الشرفة»

وعندما تراجعت المفاعد الى الوراء. استدار نحو كروي وقال:

«حسنًا... هل أنت مستعدة لمساكني على التوجه الى الشرفة أم لا؟»

هزت كروي بالاجاب. وتقدمت لتقف وراء المقعد المتحرك. وتقدم الى

الشرفة. ومينا كانت تأخذ سبيلها. سمعت خالتها تتحدث بصوت خفيض قاتلة:

«سوف تأتي معنا ونجلس في الشرفة. أليس كذلك يا جيسون»

اجاب بصوت حازم وصارم:

«لا»

قالت الحافلة يوضوح:

«ولكن. يا جيسون»

وتطلعت كروي الى الرجال الثلاثة وهم في الشرفة لوجدت توتني

و ذاتي يتجاذبان الخديت، بينها راح بين يحدى في الفضاء، وهي كلها اذان صاغية لسباع الحواري الدائر بين الخالة و جيسون، الذي قال بحدثة.
هل اشترك في أي اجتماع يهدف الى الصلابة، لا فائدة ترجى، التزكيني أنا و بين وحشنا، لن يوجد أي فعل أو كلام يمكن أن يصفح الماضي، دعينا ولا تشغلي نفسك بالكراهية للتبادلة بيني وبين جيني.

رأت كولي الاضطراب، والاثم على وجه الخالة عندما دخلت الى الشرقية، وتطلعت الى بين ينظرات كلها رجاء، وتوصل أن يلين قلبه ويتحدث الى حليده جيس، لكنه لم يعبأ بها، واقفا راح يحدق بشروء في الوهج الترميزي الذي كان يكسو النقال الواقعة على عرمى البصر، وراقت كولي خالتها التي احتلت مكاناً اثيراً في قلبها خلال الست والثلاثين الساعة الماضية، فشد انتباهها أن ترى كتيفي الخالة متوترتين وقنفا مشدود، قبل أن تتخذ مكانها الى جوار بين، ولكنها مرعان ما استعادت كبريائها وشموخها، وظلت كولي بعيدة عن المصوعة وليلها يصب في نبضات سريعة، والألم يعتصرها وهي ترى أصابع يد خالتها، قات الاظفار المخنطبة بالظلام الأحمر، تصبب اللهب في القنابين، وعندما قدمتها، امتدت هذه الأصابع حول عنقها لتثبت العقود على صدرها. وعندما أحست كولي أنها لم تعد لتحمل منظر خالتها وهي لتعرق الماء انفلتت خارجة من الشرقية، واتخذت سبيلها الى الخديتة.

وبدون أن يراها أحد أو يستوفها اتصال، راحت خطواتها تسبح في هدوء غير محرق يقضي الى واجهة البيت القلبي، وأخيراً أطلأت في سرجها وبدأت تتجول بلا هدف بين أشجار الورد، فقد كانت ألكارها مضطربة، وغير مترابطة.
وراحت تتطلع الى الأخفى البعيد، شارقة الذهن، وهي تستعيد شريط الأحداث، فتذكرت الليلة التي أمضتها مع جيس، لكنها كانت مغلطة بعدى كلمات بين:

«قاتل... قاتل... قاتل...» فتطلعت في حيرة إلى السماء ولجموها المتلألئة، وتأملت السحب لزوها الأضواء، فتذكرت التوبة التي شق وجهه واثارتها السلطنة إليها.

وأعصت عينها تحاول أن تسدل الستار على الصور التي تراها في خيالها، ونسألت ترى ما سبب الكراهية التي تتأجج بين الجند وحليده، ولماذا لم يجبرها جيس تلك الليلة أنه حليد مائل هذه المزرعة؟ ولماذا تركها تعتقد أنه أجبر فيها؟ لا بد أنه كان يعرف أنها ستكتشف الأمر.

وحقق قلبها باتوره لأخيها، ذاتي، ذلك الانسان الذي تلووه الأمل الكبار...
لقد نأى الى أن تكون لها أسرة وبيت وها هي بين يديه، لكن هذه الأسرة لزلها الكراهية وعدم الثقة، فقلعت أصابعها بالاثم، عندما فكرت في الجمل الذي دار بين جيس والعلم بين، وانفاتها الحرف لأنها لا تستطيع أن تتجاوب مع الكلمات المروية التي تلوها بها، وقالت لنفسها،
لا يمكن أن يكون جيس قاتلاً، وإذا كان قاتلاً حقاً، فلا بد أن يكون مكانه الآن السجن، لا بد من وجود اجابات عن أسئلتها... وهذا ما يجب أن تعثر عليه.

وفي غمار هذه الدوامة من الأسئلة، سمعت كولي صوت عود للباب يستغل ورادها، غانتها الحرف، واستدارت تجاه الصوت، وصاحت بخشونة:
ومن هناك؟

تقدم شيخ منها بدون أن يجيب، وأطفاً للباب، لكن ضوء القمر كشف عن قميص أزرق، ثم عن وجه... وتبينت أنه جيس الذي أخذ يتقدم ببطء نحوها، وهو يشتم يادب:

«صبا، العجز لمانية يا أخته ما كغويز، انها اسمية جميلة للتجوي في حديقة الورد، أليس كذلك؟»

توتر جسها عندما وقف الى جوارها، وشعرت بضغوبة التحكم في رجليها المحسومة التي كانت تحنها على الفرار لأنها وقعت أسيرة عيشة الزغاريين ولكن لرحلة تصعبة، ولم تلبث أن حولت بصرها بعيداً عنه ونسألت:

«هل عرف أو حيس أنها سمعت حديثه مع الخالة؟ وهل توقع أن يجدها هناك؟»
قالت له لأخفة الأنفاس:

«احتجت أن استشق قليلاً من الهواء الطلق، شعرت بالقلق عندما جلست في الشرقية مع الآخرين».

ثم حدثت فيه مشردة، فأعست بنظرته تنفذ إلى أعماقها ولكنه سرعان ما أجابهم:

«كلنا في حاجة إلى استنشاق الهواء النظيف... بعد تناول الطعام هل استمتعت بوجبة العشاء؟»

وكانت كوكي تعرف أنه لا يشير إلى الطعام، فأطردت برأسها وراحت تنظر إلى الأرض بدون أن تجيب عن السؤال، واستطرد ساخراً:

«لا بد أنك وجدت صعوبة في التلازم مع التفكير الخاضع لاسرنا، لكنني متأكد أنه لن يضي عليك وقت طويل حتى تصبحي كالأخرين»

معل أنت حقاً خفيف بن!

أجاب بإهتسامة ساخرة والمرارة مرتسمة على شفتيه:

«أجل، أنك لمهذين صعوبة في تصديق هذا أليس كذلك؟»

هزت رأسها بالإيجاب في صمت، وشعرت بقبضة يده تسك يرققها وأطلق يسر بها كأنه لا يطبق الودود في مكان واحد. قال لها:

«صعدت التي، الكثير اليوم وأنا في مكتب بن... أليس كذلك؟»

أجابته كوكي وهي تحس بالقلق يحرق أعماق رقيقها:

«أجل».

قال وهو يبتلع دحان سكارته:

«دع لسوء الحظ».

قالت وهي تنطلق إليه بشدة:

«ولا أستطيع أن أفهم سبب الكراهية التي بينك وبين جندك ماذا حدث؟»

ضحك ضحكة مريرة مزوجة بالقميبي، ثم قال:

«إنها قصة طويلة... حكيت عدة مرات... والأفضل ألا تعريها، ليس في وسعك الانحياز إلى أحد الجانبين، والأفضل تماماً كما حدث للخالدة... اتركي الأمر جاثياً».

أزدها ابتساع غيبي كوكي وهي تبذل جهداً لتفهم قسوى عبارته لجأته:

«كيف؟»

وعندما أبتاح بوجهه عنها، قالت له بصوت ناعم رقيق، ولكن تشوبه نبرة الإصرار:

«ولكنك لست فائلاً».

«وهل أنا قاتل حقاً؟»

وكانت الكلمات مزوجة بالمرارة الحزينة، مما دلح كوكي إلى أن تخوف دمعاً ألم تدت من أعماقها. فقال لها وهما ينبران بلا هدف وسط الزهور:

«أرى أن ثوبك لم تقسده العاصفة كما يزعمون».

أجبت بالامتنان لأنه لم يجر دقة الخبيث. فأجابته بهدوء:

«ما زال ثوباً جميلاً... بالرغم من تواضعه».

قال جيسون بصوت رقيق تشوبه نبرة الثقة التي يفت بها غير مانتة العشاء:

«كلا... كلا... إنه ليس كذلك... لكنني متأكد أنك ستعثرين على ثياب ستحوز رضاك عندما تقومين بجولتك غداً في المحليات».

وتنقلت إلى مسعها أصوات ضحكات وصيحات صيالية... فتطلعت إلى جيسي متسائلة فقال لها:

«توني وأطولك يسبحان الآن... هل تحبين أن نذهب لرؤيتها؟»

هزت رأسها موالفة، فتحولا صوب البيت. وكانت المصاييح التي تحيط بحرفي السباحة تضيء لها الطريق. ورفقا بعيداً عن رذاذ الماء المتطاير، وشعرت بمشي جيسون مسلفين عليها فانبست له. ثم حولت بصرفها نحو حوض السباحة، فصاح ذاتي وهو يلوح ظاً بظرائد:

«مرحباً كوكي... أين كنت؟»

وقال لها توني وشعره يبرق تحت الأقنود، وشفتاه تكتفلان عن أسنانه البيضاء:

«انعمي، وغيري ملايك. ارتدي المايوه... الماء جميل».

أجابته كوكي وإهتسامة لمجل نظري وجهها:

ولا أستطيع، ليس عندي ما يرد»

قال نوتي ضاحكاً بمرح وهو يتطلع إلى وجهيها المتوردين بحمرة الحجل،
وأذهب إلى الحالة وهي تستطيع أن تدبر لك واحداً.

قالت مبتسمة:

«لا، شكرًا»

وشعرت بالغيرة تشب أظفارها في شفاف قلبها عندما رأت نوتي يفرح
كأنهم إلى جوار أحباها ذاتي. سألت جيس بحيث

«هل تجددين السباحة؟»

قالت كولي بصوت يشوبه الحجل والتعوية:

«كلا... لم أتعلم السباحة»

سألتها:

«هل تحبين أن تتعلميها؟»

أجابت ونظراتها تتطلع إليه، وكأنها تجددت بأنها تمنى أن يتحقق لها هذا الحلم،
«بالطبع...»

قال جيس وهو يحدق في حوض السباحة والأضواء تتراقص على صفحة
الماء:

«لما أحببت، قُبِلْتُ عليك السباحة»

صاحت كولي قائلة، والفرحة تهز جسدها هزاً:

«حقاً! إذا لم يكن ذلك يزعجك»

تطلع إلى وجهها السعيد، وقال:

«كلا على الإطلاق، فقط اطلبي من الحالة أن تشري لك ملابس سباحة غداً»

قالت كولي لمرحة:

«أوه... سأشري واحداً... متى تبدأ؟»

أجاب:

«بعد غد عادة أَسَاحُ في الساحة صباحاً، إذا كنت تستطيعين ميكراً»

تطلعت إليه، وترتعت أن ترى مضمة مداعبة في عينيها، ولكن نظراته كان من
الصعوبة تحديدها، فقالت له وكأنها تقطع على نفسها عهداً لا يمكن التراجع فيه:

«سأكون هنا في المرحلة»

قال لها بأدب:

«جيد... طابت ليلتك يا كولي»

قالت كولي بينما كان جيس يسير متجهاً نحو البيت:

«طابت ليلتك يا جيس»

وراحت تراقب قوامه القارع منيئة. وقلوبها يكاد يطر من الفرح ثم حزلت

بصرها نحو المبلعين في حوض السباحة، وغالت نفسها غريباً جداً... منسحب

منها.

أخذت كولي تفض أظفارها بعصية واضحة، وهي ترى السيدتين للومان

بحراسة ملاصق وجهها في عراة سالون النجيب، وشعرت أنها فتاة صغيرة، خضيلة

البنيان، عندما أمسكت غائتها «خضيلة» من شعرها وراحت لتأقش مشكلته مع

مصطفة الشعر غلوريا، التي هزت رأسها متففة في رأسها مع رأي الحالة وتقدمت

تحو المتعد حيث جلست كولي وأمسكت بذنها وراحت تهز رأسها مبتاً ثم

يساراً، كأنها تدقق النظر فيها وتدوس ملاصق وجهها، ولا تدري كولي من أين

ظهر المشط فجأة حيث وراحت غلوريا تطرح به المصصلات هنا وهناك

وأخيراً وجهت حديثها إلى كولي قائلة:

«عسى أيلها الفتاة... لتبدأ العمل»

حاولت كولي أن ترمس ابتسامة خفيفة على شفتيها عندما رأت شابة

الأخصائية تقبل عليها لتقدم بفصل شعرها بالشامبو وقد أشارت غلوريا على

الأخصائية باستخدام نوع خاص منه عند شطف الشعر، ولم تشعر كولي

بارتياح لما عندما وجدت أصابع الأخصائية تدلك الشعر بحمية وتشاط وتشتت

المصعد، عندما لفت الشعر بالشفقة، وتركتها بين يدي خبيرة التصفيف التي

قامت بنشقه، ثم غسسته أناماً، واستخدمت المص في تشذيبه. وتظفرت

كولي بطرف عينيها فرأت بعضاً من شعرها يتساقط على الأرض، وبعد ذلك قامت الاختصاصية بلف كل خصلة حول رؤوسها وعندما حدثت كولي في المرأة رأت شعرها ملقوفاً حول عدد كبير من الرولات ثم فادتها الاختصاصية بعد ذلك إلى أحد الشجفلات وأدخلت رأسها فيه، وتركته.

أحست كولي بشغل غريب فوق رأسها، فلم يحدث لها أن دخلت إلى صالون التجميل من قبل، وأقصى ما كانت تفعله هو أن تترك إحدى جارئاتها تقوم بقص شعرها وتذهب أطرافه، ولكنها الآن تجلس في صالون التجميل، وترى العاملات في زين، غدايات وأحياناً بين السيدات لوضع اللبس الأنيقة في التمرجة. ولم تستطع كولي أن تكبح هذه اجتاحتها عندما فكرت في أنها ستفقد بعد قليل متأللة في تمرجة رائعة المظهر، وبعد أن انتهت كولي من شعرها، جاءت غلوريا، وظلت معها أن تستقل إلى مقعد آخر أمامه مائدة صفت عليها أنواع مختلفة من أدوات التجميل والساحيق.

كانت الخالة غلوريا تنفق كل جوار خيرة التجميل، وقد لفت هي أيضاً خصلات شعرها الفضي حول الرؤوس وجاءت لتلنل برأيها في اختيار الساحيق التي سوف تستخدم في تجميل وجه كولي، وبدأت الاختصاصية بوضع كريم الأساس، ثم جاء بعد ذلك دور طلاء العين، اختارت طلاء زيتوني اللون، ليؤكد لون عيني كولي، وانتقلت بعدها إلى تجميل الرموش بالمسكرا، وأخيراً صيقت الشفتين بأمر الشفاه. وعندما تم وضع الساحيق، علقت كولي إلى المقعد الأول، وتم رفع الرولات من الشعر، فانتابها شعور بالسعادة عندما رأت شعرها متواجداً حول وجهها.

وعندما تحدثت غلوريا إلى الخالة قائلة:

«الآن سأستعمل مثلاً ملوناً ليشفي ظلالاً ذهبية على شعر كولي».

وأثناء الحديث تركت الاختصاصية الفرشاة بحري بين خصلات الشعر ثم أمسكت بالشط لتصرع التنايا المطوية، وتبرز العنقاص هنا وهناك وتؤكد التصريحات، واستعمت السائل الموزن ليشفي الللال الذهبية على الشعر.

وعندما أخذت غلوريا عملها، تطلعت كولي إلى نفسها في المرآة، فرأت فتاة لا تليق بصلتها إلى التي دخلت صالون التجميل منذ قليل، بدا وجهها رقيقاً بدأباً في تمرجة متواجدة أخلة، تدبر رؤوس الرجال بجوارها الساحر، صاحت كولي والخوف يتنازعها.

«خالتي هل أنا حقاً كولي؟»

أجابت الخالة وابسمامة عريضة ترسم على شفتيها:

«أجل يا عزيزتي كولي... أما أنت يا غلوريا فسيمة عظيمة، جديرة بالاعجاب والتقدير».

أجابت مصلفة الشعر وأعطافها تلمح بهذا الاطراء:

«وأنت أيضاً يا سيده غراتجر».

ثم قامت تنسلاً على شعر كولي لمساعد على تماسكه، وأردفت تقول:

«الآن... أيتها السيدة الصغيرة... أنت جميلة للغاية، ولك أن تفخري بنفسك».

قالت كولي لاهلة:

«أشكرك... أشكرك شكراً جزيلاً».

ولم تكن تريد أن ترفع عينيها عن المرآة، فقد أصبحت شخصاً جديداً، وهاورت الصالون بصحة خالتها، ورأحتا تيجلايان الحديث حول الحواشيت التي مستوحان إليها، وأي الأثواب ستحتاج إليها كولي وأحست أنها تسمع في دوامة أخرى حياء راحت ترتدي السرراويل، واللباس المنزلية، وملابس التجميل، والتفاني، وكانت تبدو عليها جيعة جميلة، وسعت خالتها تطلب من البائعة زوجين من الجينز ولم تستطع كولي أن تعيش السعادة الكاملة إذ اعتراها شعور بالذنب للشئ الباطل الذي استفدته خالتها، لمهست في أذهنها قائلة:

«خالتي هذه الملابس متكلف كثيراً».

قالت الخالة يدهشة:

«لا تقلقي كثيراً يا كولين، انك في حاجة إليها، ثم انني أنصع بكل لحظة

أفشيها هناك.

وكانت كولي بتدورها تستمتع بهذه اللحظة، فكلمها نظرت إلى المرأة. كانت تشعر بالزهر والخيلاء. وتعارض بد بدعا إلى شعرها لتتحسن موجهاته وخصلاته الحمرية. وحينما ارتدت الثوب الأصفر الذي زينت عنقه وحافتيه الدانتيللا وتطلعت إلى نفسها في المرآة. وقفت مذهولة، مأخوذة بجمالها. ولم تصدق عينها. فهي جميلة للغاية... بل رائعة!

صاحت الخالة ليللي.

«اللون الأصفر يناسبك».

وسمعت كولي خششة العتوة التي تزين صدر خالتها، عندما حاولت تثبيتها على صدرها الذي اهتز فرحاً وأعجاباً بالغنى وصاحت تنادي على البائعة. «يا أمسة لو سمحت... أفضري لي ثوب الحفلات المصنوع من الشيفون الأصفر والمخضر على هذا المانيكل».

لالت البائعة.

وتحت أمرك... سيكون جذاباً عليها.

وحارت كولي أن تقول:

«خالتي أنني لست في حاجة إلى ثوب آخر. لهذا الثوب الذي ارتدته جميل للغاية».

قالت الخالة بصوت يتسم بالحزم.

«هراء ما تقولين... صحيح أن هذا الثوب ممتاز، ولكنك في حاجة إلى ثوب آخر للحفلات. يجب أن تكون لديك عدة أثواب، ولكن ماذا تفعل والنياب الموجودة هنا قليلة. ولا تستطيع أن تنفي منها ما تشاء أمامنا واحد أو اثنين في الوقت المأخوذ».

وعندما ارتدت كولي ثوب الشيفون، بدت أميرة، بل كأنها جنية تسبح كالفراسة المائتة. وبدا جسمها التحيل كالأشعة الأشرية... خفيفة... ذهبية اللون.

لمست الخالة قائلة:

«سنحتاج إلى بعض مكملات الزينة التي تتشى مع لون الثوب. سنختار بعضها مائلاً لترغين من تغيير ثيابك، وأعتقد يا كولي أننا اشترينا ما نحتاجين إليه في الوقت المأخوذ سارعي الآن والخلي هذا الثوب وارتدي ملابسك».

لالت كولي بتدور عندما شرعت خالتها في أن تدور على عقيها.

«خالتي».

«لهم... ماذا تريد من يا عزيزتي».

لتعنت وهي تقول:

«ليس عندي ما يوه».

صاحت الخالة:

«يا أقرى! نسيت تماماً ذلك، بالطبع لا يد أن يكون عنك واحد، لم أفكر في أمر السباحة...».

قالت كولي في حيرة.

«لم أتعلم السباحة بعد».

«ألا تغربنها خطأ من الذي سيخمد بتعلمك، هل هو «أني»».

أجابت كولي بتدور. «وإن كانت لا تدري ماذا سيكون صدق كلامها لدى خالتها».

«ألا... وأما جيسي... قال أنه سيوف بتعلمي لذا كنت لا لماعين».

أجابت الخالة:

«بالطبع، لا مانع لدي».

ولكن لم تلبث الخالة أن قطعت جيبها، وخيفت ما بين عينها الزرقاوين، ثم علقت تسأول:

«هل سيوف بتعلمي السباحة».

أجابت كولي:

«أجل يا خالتي».

قالت الخاتمة:

وهذا أمر غريب.

ثم بدأت تقول وكأني توجه الحديث إلى نفسها. وليس إلى كولي:
«يستلزم من الباتنة أن تقدم لنا أحسن ما به لديها».

وفي ذلك المساء أردت كولي ثوبها الأصغر. وتطلعت إلى نفسها في المرآة
للمرة الأخيرة. وكانت تطير فرحاً بظفرها. وعندما سمعت أناساً يقاسرون الحمار.
ويجود إلى غرخته. أسرعت لتكون أول شخص يتبع بصره عليها. وهي ترتدي
ثوبها الجديد وهست:

«داني... أنا... كولي... افتح لي الباب».

وفتح داني الباب. وهو عاري الصدر. وبذلك يجلبان شعره بلطف إلى
الداخل وراحت تدور وسط الغرفة. فتطلع إليها أخوها بدعشة قائلاً:
«هل أنت كولي... حقاً».

«أنا جميلة... أليس كذلك يا داني؟ يجب أن ترى الملابس الجميلة التي اشتريتها لي
الحالة. وما رأيك في شعري؟ هل أعجبك التسريحة؟»

ضحك داني وقال:

«شفتيني أصبحت متفربلاً! هل تسمح لي سوماً بأن أضعها إلى مائدة
العشاء؟»

وأعني أمامها. فطارت المشقة أمامه. وضحكت كولي في حزن وهي
تقول له:

«يسعدني أن أضعك... يا سيدي».

لقال:

«يمكنك أن تغادري الغرفة لأرتدي ثيابي».

خاضت كولي الغرفة وهي تركض. وبعد دقائق كان داني يقف أمام

بابها. وقدم لها يده وأخذها ببطان درجات السلم. فشمعت أنفها أميرة. تستع
بالكبرياء والثقة الصائقة التي وهبتها مزيماً من الحسن والجمال. وعندما فتح لها
داني باب غرفة الطعام. دخلت والثقة الخاطئة... وتأملت عيناها وهي تنظر إلى
الجسم الذين التفتوا حول المائدة. فتنهض توني عن مقعده والدعشة بادية على
وجهه وأشرقت ابتسامة رقيقة عندما شخصت بصرها نحو بن ورأته ينهم
وهو يتطلع إليها:

صاح توني وهو يدور حول المائدة ليطلب أمام كولي:
«خاتمي! أنت ساحرة».

حوّلت كولي بصرها نحو جيس وتولعت أن تسبح منه صدى كلمات
توني أو على الأقل الاطراء الذي لاح مرسومياً في عيني بن. ولكن وجهه بدا
جامداً. غائتها الكتم والاضطراب. قبل أن تتأبط ذراع توني الممدودة لها ولو
أنها تطلعت إلى خاتمتها لوجدت الفكرة نفسها مرسومة على وجهها وهي تدرس
مائلة جيس بأفهام زائد.

وكان طعام العشاء طاملاً طاملاً وأودها منذ أمد بعيد. فقد تقدم تعوها توني
وهو يغارها بعينه وكليلته. وحتى الرجل الكهل الفارع في المقعد المتحرك خرج
عن دلاله وراح بداعبها مداعبة الفرسان ورأت زهر الكبرياء في عيني أخيها
عندما وجد الجميع مأخوذين بها فبا عينا جيسون الذي خيم عليه صمت
عظيم. وعندما غادروا الغرفة وانطلقوا إلى الشرقة. أسعدوا أن ترى جيسون
ينظم اليهم. وقد جلست على أريكة. بينما جلس داني في ناحية منها وجلس
توني في الجانب الآخر أما جيس لمواج يدخن سيكارة وهو جالس على مقعد
قريب منهم.

مالت كولي برأسها نحو توني وسألتها:

«هل أنتك إلى أي مدى تغيرت؟»

راح توني يجذب فيها مشدوهاً. وهو يلتمسها بنظرانه ثم أجاب:

«أثقت بن أرساً عندما دخلت الغرفة. كنت أشبه بالفتاة الرثة التي أصبحت

مستريلاً، يتصل الحالة قبلي، ولست أنا بدور الأمير المأخوذ بسحره، فلم أخذه بكلمة واحدة.

ترددت هيكله كوني في أرجاء الشرفة، وهي تسرى بكتلاته، وكأن حفات رأس السنة قد أصبحت في هذه اللحظة، ثم قالت بعزيمة:

شعرت اليوم وكأنني أميرة... وصمتت، وكأنها أحست بالغول من زوال سحر هذه اللحظة التي لم يخط بها، فتنظلت بعصرها بلا وعي إلى جيس، وهي تواصل حديثها.

بالكني أتوقع بين لحظة وأخرى أن تدق الساعة، فأعزى إلى برسي وشفتي... هل أبدو للطفة يا جيس؟

كان جيس وحده يستطيع أن يعرف وجه الاختلاف، فقد رآها في ملابسها التي أفرقتها مياه القيصان، وها هو الآن يراها شابة، جذابة في ثيابها المألوفة، وانتظرت بلارع العصر أن يجيب عليها، وأن تأتي أجابه بالرافقة على أن التغيير واضح للعيان، وأخيراً قال:

أنت لا تبدئين أمامي كالأمرية يتكلم توني، أخطأ في وصفه.

وصمتت، وطلال صمته شعرت بالمرح بدمي عليها، وهي ترى طائفتي أنه تهتان قضياً، فحاولت أن تلفظ بصعوبة أناسها، وتتحكم في أعصابها، بينما استعجزت بقول:

أنت تشبهين إحدى زروء الخالة، إحدى براعمها الصغراء التي تنسم بالأنفاس والبراءة... والتي على وشك أن تتزوج.

ترددت كلماته الرقيقة الواضحة غير الصمت الذي ران على الشرفة، وشعرت كوني بالفرح لهذا الاطراء الذي يعني أنها بدأت تضع قدمها في بداية مرحلة التضج، وفجأة بدت صرحت بشيئين مالدج الصمت وهو يقول:

هالكلمات ما زالت تنطلق بسهولة من بين شفتيك... يا جيس؟

وقبلت جيس في أن يعثر على أجابه عن هذه التكاليف الساخرة ولم يجد أمامه

من سبيل سوى أن ينهض من مقعده ويستلم قاتلاً،
«استعروا لي بالاتصراف».

واتحت ليحيى خالته - وراقبته كوني - وهو يهبط درجات الشرفة التي تنفس إلى المدينة، ويسير بعيداً حتى ابتلعه ظلام الليل، وكانت خطراته يظينة ولكنه متعصب القامة.

وتحوّلت كوني لتحتج على عمها، ولكن نظرة داني الحادة جعلتها تخذل إلى الصمت.

٤ - الخيل والماء

راحت كوكي تراقب الرجل القوي يضرب بذراعيه الممتلئين مياه حوض السباحة بلا مجهود يذكر. وقد وضعت بشرته بنأى جبل لمت شمس الصباح. كانت تعرف أنها تأخرت عن موعد تمرينها الصباحي، لكن دقة ضربات الذراعين في الماء نالت إعجابها. وشاءت أن تتغلب على مخاوفها وتجيد السباحة مثله.

وكان هذا الصباح يعتبر خامس يوم تتلقى فيه دروس السباحة، وبالرغم من أن رغبته في تعلم السباحة كانت قوية، إلا أنها كانت تشعر بخوف من الماء. وقد ساعدها جيس أن تتغلب على مخاوفها. وفي هذا الصباح خلقت تقدماً كبيراً في تدريبها، يفرق اليوم الأول الذي يزل فيه جيس جهداً كبيراً لكي يحصلها على النزول إلى الماء. وقد اعتشده أن يراها تتسك بالصبر في التعلم رغم مخاوفها. وأن تشبت بالأمل في أن تصبح سباحة عاهرة. وبدأ جيس في تعليمها التواجد الأساسية للسباحة خطوة خطوة، حتى تلهتها جيداً. وأقنعها أن لغوص في الماء وتطلق الهول من قبلها. وبعد ذلك أخذ يدرّبها على أن تسك يديها حافة الحوض. وتحرك تدميها حركات متناقصة، ثم راح يعلمها كيف تحرك ذراعيها، ونجحت في أن تضرب الماء بلا جهد كبير.

كانت تنقف عند حوض السباحة عندما رآته يغير إلى الطرف الآخر ثم توقف قليلاً. نقض الماء الذي بلل شعره. وأمسك الحافة بأحدى يديه. وعندما وقع بصره

عليها، لوح لها ببقه الأخرى بعيداً، ثم قال:
«تأخّرت في التمرن هذا الصباح...»

وطلب منها أن تسرع بالنزول إلى الماء. فسارت كوكي إلى حافة الحوض، وأصطحب وجهها بحيرة الجبل عندما خلعت رداء الاستحمام وسبح جيس ببطء حتى بلغ المكان الذي وقفت عنده. واستقر يده على أرضية الحوض. وترك رأسه يعلو صفحة الماء. وراح ينفخ الماء عن وجهه ويعد شعره عن جبينه. ثم تطلع إلى كوكي. مأخوذاً بما لها وهي ترتدى المايوه. وبعد ذلك أقال لها:
«يتدرب اليوم على السباحة طفلاً تعالي إلي وأنت تصبحين على بطنك. وتذكرني أن يظل رأسك في الماء».

أخذت كوكي نفساً عميقاً، وبدأت تنزلق إلى الماء تدريجياً، ومدت ذراعيها أمامها، وراحت تسبح على بطنها، ورأسها في الماء. وتطلعت مسافة استغرقت عدة ثوان، لكن خيل إليها أنها سبحت عدة ساعات وأخيراً ناست راحتها يدي مدرّجها. لرفعها إلى أعلى، وعندئذ مسحت الماء عن رأسها، وتطلعت إليه تسأله عن مدى نجاحها في محاولتها. ولكنها كالعادة رأت انقناع المعهده بكسر وجهه. ولم يقل لها شيئاً سوى:
«حسنًا... فلتعد الكرة».

وأعادت كوكي التمرين مرتين. وكانت تظلم بجسمها على الماء وتضرب الماء بدمعها في حركات منسجمة وهي تسبح ببطء تحمّره. وعندما وصلت إليه قال لها:
«حسنًا... فلتبدأ الآن السباحة على الظهر... إنها سهلة، فلتطرحي كما فعلت في الثرات السابقة، أسكي يدي».

أطاعته كوكي. واستلقت على ظهرها، مستعينة بذراعيها، ولكن الماء تلاطم بوجهها، وفوق رأسها، فاختل توازنها. واضطربت، وراحت تبحث عن يديه لعله يتلذّما.

قال لها بصوت تنسم ثمرته بالصبر

وأخذت ذراعها فتقصر بين الماء في محاولة مستعجلة لتصل إليه، وراثة يسارع إلى تجديدها وألقت بجسمها بين ذراعيه، وسبح بها حتى بلغ حافة الخوض في سلام. وعندما استلزل بها المقام، وجدت نفسها لا تزال محسكة بكتليه، وجسمها يرفرف ويضطرب خوفاً قاتلاً لما ويده ما زالت محسكة بخصرها.

«هل أنت بخير الآن؟ كنت رائعة وأنت تسبحين بحري»

سألته.

«أعفاً ما تقول»

كان التفرع ملاً عينها وهي تحقق في عينيته، وتلمس الخوض لنفسها المضطربة في قرويه، ثم أردفت تقول:

«ولكن لماذا ابتعدت عني»

أجاب مبسهاً، وهو يحاول أن يبعث الطمأنينة في قلبها:

«لأنك ما عدت في حاجة لي... كان جسمك طالياً بدون معارضة مني، واستطعت السباحة وحيداً».

شعرت كولي بدفءه اطرانه برغم الفزع الذي ملأ قلبها منذ لحظات لحضائته:

«هل نجحت في محاولتي»

ابتمس ابتسامة ولطيفة، ثم قال:

«أجل نجحت».

ولم تتوقع كولي أن تجد نفسها تطيل النظر إلى حركة شفتيه، وبدأت تدرك معنى المسألة القصيرة التي لفصل بينهما، فأعصت بلهجة بدء الحرفة لتسمع خصرها وبما رأسه يميل نحوها فشعرت بعينه تحذراتها، ولكنها أفاقت على صوت أت من أحد جوانب جوف السباحة، يقول:

«هنا لدينا هذا موعد غرام في هذا الوقت من الصباح الباكر»

استندت يد جيس لتدفع كولي بعيداً وبجفاف، لكنه لم يدعها تذهب عنه،

«لا تنزعجي» استلقى ثانية على ظهره، واسترخى. لا تشفي جسمه.

أخبت عينيها حتى لا يقرأ الحرف فيها واستلقت على ظهرها، واستسلمت ليديه الحازمين، وراح يسند كتفها إلى ذراعيه. حتى أصبح ظهرها يطفو ساكناً فوق الماء. وفكرت أن الأمر ليس صعباً كما كانت تتصور بينا راحت موجات رفيقة من الماء تلطم بجسمها، وشعرت بالهدوء والسكينة عندما استلزل جسمها فوق الماء، فالتفت ابتسامة السعادة على شفتيه.

سألها جيس:

«أظنك استمتعت بهذه السباحة... أليس كذلك؟»

التفتت كولي أنفاسها، وقالت:

«أنا مريحة للأعصاب»

وقنعت عينيها لتطلع إليه لرات السرور بادياً في عينيته. وكأنه يجيب على ابتسامتها، وعادت تغلق عينيها مرة ثانية. قسعتها بقولها:

«الآن لم يعد يمتلك أدنى خوف، مركبي يدرك قليلاً لكي تدلعي جسمك إلى الرواء».

وعندما بدأت تحرك ذراعيها بعنف، شعرت أنها تغرق في الماء ولكنه يسارع إلى مساعدتها على حافة توازنها بيديه، وأردف يقول:

«فكك لك مركبي يدرك قليلاً... قليلاً... وليس بعنف».

وفي هذه المرة حركت يديها إلى الوراء، وشعرت بسعادة عندما اندلع جسمها مع حركتها، فتهدت حافة، واسترخت مع تبار الماء وقنعت عينيها لتسأل:

«هل حتماً نجحت في تعلم السباحة»

ولكنها لم تجب إلى جوابها... وفجأة انتابها الفزع. وأدارت رأسها بسرعة بحثاً عنه، فوجدته يقف على مسافة بعيدة عنها، وعندئذ سادت الأمور انما اضطربت ساقيها وبذلت هوداً يائسة لتعثر عندما على القاع، وعندما عجزت، صرخت:

متأدية

وأما التفت نحو وجه توني الصاخر وقال جيس:
«كنت أقرب كولي على السباحة. الحرف يتأبها من الماء العصفرة».

لأن توني سافر

«وأني الحزن سيلها لكي يزيل المخاوف عنها».

اصطط وجه كولي بحفرة الحجل، وتركته ملاذ جيس الذي كانت
تحتسب فيه. وشربت تأخذ سيلها على طول حافة الحوض، حتى بلغت الأعالي
الفضلة. وألقت النوبة في وجه جيس وهو يتطلع إلى توني بوجه متجهتهم
قبل أن يتحرك. ليقتضي أثر خطوات كولي المتفجرة.

قال توني:

«إذا كانت دروس السباحة بهذه الصورة، فآتي على استعداد للانتظار حتى

تسمح لي القصة يا ابن الخال... في يوم مائة

راح توني يصرف بأسنانه. وهو يتطلع إلى كولي و جيس، قبل أن
يأخذ سيله إلى الحديقة وهو يصغر يصرخ. وراقبت كولي رحيله
وتساءلت: «كيف تستطيع مواجهة جيس بعد كل ما حدث؟ كانت تعرف أنه
يلعب على مفرط منها، ويعتاد تشيلان فيها. وأخيراً قال بصوت تشويه الحشونة
ويكتيك ما تليقته من درس هذا اليوم».

فهرت كولي رأسها موافقة. وكان جيس يلف أمامها واحد قراعيه على
درازين سلم الحوض. وبدا الأخرى على خصره. وشعرت بالرغبة لعدها في أن تَر
به سر يعا. ولكن الله غاي خطراتها فأبطأت سيرها وحرصت على أن تنكس
رأسها، حتى تخفي حرة الحجل التي اصططحت بها وجنتاه. وقد راح الضباب
بترافق أمام عينها وهي تستلق السلم، فتعثر قدمها عند أول درجته واسرع
جيس بساندها لكنها ثققت منه ونجحت في الخروج من الماء. وتوجهت
إلى مقعد طويل وألقت بجسمها. وبدأت تحرق شعرها بالشفقة، وقتت في هذه
اللحظة أن يرحل جيس، ولكنه راح يحوم حولها كالصقر الذي يريد أن يلتصق

على غرسه. فحاولت أن تتجاهله وكان لزماً عليها أن - تفعل ذلك لأنها لا
تستطيع مواجهته، وعلى الأخص... وهي في هذه الحالة.

ولكن بدء امتدت نحوها وأطيفت على ذقنها، وأدار وجهها نحوه وشعرت أنه
يلوم بدراسة وجهها بالهتاف زائد، ولكنها لم تستطع أن تواجه نظراته. وقجأة تركها،
لحماً كما أسلك بها فجأة. وسار يضع خطوات نحو المقعد الذي على يمينها، حيث
كانت مشغته. وسعت صوت عود ثقاب يشتعل ورائحة سيكارة تنفث إلى
خيائنها ولجأة سمعته يقول:

«قلت لك أنك دائماً انسانية حساسة. وإذا دامت أغامتك هذا فلا بد أن يخلصون
عقلك».

وبعد ذلك ذهب فأحككت وضع القفظة حول كتفيها. وقالت لنفسها: «إنه على
صواب» أنها لطاة حساسة للغاية وعن الحرافة أن تزجج لذلك. الحق على توني
وراء ما تشعر به من خيق. أنها لا تعرف أن كان حقاً قد رادته هذه الرغبة
ولجأة شعرت كولي أنها في حاجة إلى جيس - وعلى الفور انتهت دخول عندما
اكتشفت ذلك فراحت الحق في حوض السباحة، شاردة الذهن.

كانت تشعر دائماً بخجل من أن تقيم أية علاقة مع الجنس الآخر، وخاصة بعد
القصة المثيرة التي حدثت مع كارول. لكن منذ دقائق مضت كان الموقف مختلفاً،
فقدما أمسك بها جيس شعرت أن ما يفعله شيء طبيعي وصحيح. وأن ما
سأقت منه هو مقبولة. توني لها... في لحظة حساسة.

واخذت سيلها نحو البيت، أوقفت الفرجات إلى غرلتها وكان ما يلق بلها هو
الكسالك ما حدث. وأضيت بنية الصباح تسير في أعقاب مع خائفها يحولتها
الهيومية في حديث الزهور. وأثناء وجبة الفداء، وجدت أفراد الأسرة قد التفوا حول
الائدة.

واستمتت كولي عندما تطلعت نحو جيس وقد عثرت عينها عن اعتذار
صامت لتسلكها في الصباح لم تستطع أن تصوغه في كلمات، وأدرك جيس ما

يجول في عينيها فهو رأسه هذا لا تكاد تكون ملحوظة وكأنه يقول لها انه يقلب
اعتذارها.

وكان داني متجهاً قليلاً وهو يجلس الى جوار كولي ليها عثر توني
لها عينيته. قبذت جهداً مشياً لتحفظ بصرتها، بالرغم من وجوه نقطتين
شاحبتين على وجنتيها.

سألها توني وفي عينيها نظرة خبيثة:

«كيف حال دروس السباحة»

لم يجتعل داني. ولع الزلازل. لطعن بشوكته حيات السلسلة الموجودة في
طبقه. وأجاب كولي وهي تثقل صحتها من بين:

«سأكون مثارة مثلك ومثل أخى داني».

قال توني وهو يكشف عن أسنانه باليسامة صفراء:

«عندما تصلين الى المستوى الرابع، فلماذا لا أحلق حمل جيس» انني متوسل
متأزراً.

وتطلعت الى جيس والنلى يصرفها ينظرته الثالثة. وكان ينتظر اجابتها.
وأعيت برغبة في ألا تتركه توني يضايقها. كان عليها أن تكشف لجيس بأن
جلدها اختوشن، وأن في وسعها أن تواجه الموت. فقالت بيروء:

«هلاً... يا توني» لم أعرف أنك خير في مهنة التدريس»

أخفى توني النظر الى جيس ورأت كولي ايسامة مأكرة على شفتيه
حاول أن يكتسب يوضح قطعة من اللحم في لده وهذا انتفتت نحو أخيها كأنها
تستجدي به ليقوم بتغيير دقة الحديث. وسألته:

«ماذا فعلت هذا الصباح»

لم يستطع داني أن يخفي تيرة الزهو في صوته وهو يقول:

«كنت أعتني بالفرس التي ولدت مهرأ وكان علينا ألا نغيب عيوننا عن المهر»
صاحت كولي وقد هزها لثأ مولد المهر

«وليد صغيراً»

والثفت الى بن باضطراب وسألته:

«هل أستطيع أن أذهب لرؤيته»

ابنهم بن وقال مرح

«طبعاً... يمكن أن يصحبك داني بعد الغداء»

فسألت أخاها:

«هل أصحبك يا داني»

أجاب داني

«طبعاً... ولكن يجب أن ترتدي الحيز، فأثياب القصيرة لا تناسب مع الخطيرة».

دفعت كولي مقعنها الى الخلف، ونهضت وهي تصيح لائلة بحرور واضح:

«جداً... هل تسمحون لي بالانصراف»

قالت لها الخاتمة:

«ولكنك لم تتناولوا الحلى»

قالت وهي على باب الغرفة:

«لست جائعة، سأتناولها فيما بعد، انتظري يا داني...»

«سأنتظرك».

وكان صوته هادئة. وقد ارتسم تعبير سعيد على محياه عندما رأى الانسامة على
وجه شقيقته وهي تغادر الغرفة. وراحت كولي ترتقي الدرجات بسرعة، وأخذت
تسحب أراجيحها، لتخرج منها ينظرون جيز. واستبدلت لباسها في وقت قصير.
ثم وفقت أمام المرأة تمشط شعرها، وتضع لسة من أعر الشفاء. و انطلقت تهبط
الدرجات ووصلت لأخيرة الى حيث يلف أخوها في انتظارها عند الباب فاقد
الصبر... وغبدت فالت له:

«انتي مستعدة».

غادرا المنزل وسارا جياً الى جب. وحاولت كولي أن تهدئ من خطوات

لدمعها التفتين حتى تسير خطرات أخوها الزينة. وابست إلهامة معيدة
وهي تأنط قراعها. وقالت له:
«لماذا أنت جلد بهذه الصورة؟»
سألها متعجباً.

بعلا حدث في حوض السباحة هذا الصباح.

وكانت مفاجأة بالنسبة اليها أن تواجه منه مثل هذا السؤال. وأدركت من روى
له القصة. فأجابت قاتلة:
«أعتقد أن توني تكلم معك».

بدا الإحجام على وجه داني. والتسائل في عينيه عندما نظر إلى وجه شقيقته.
وأخيراً خرجت الكلمات من بين أسنانه وهو يقول:
«أخبرتني توني بأنه رأى جيسون يميل عليك».

أجابت كولي:

«لم يكن الأمر على هذه الصورة».

وراحت تحدثه عن الحوف الذي اختارها عندما كانت تمشي في المنطقة العقيمة
من حوض السباحة. وميلارة جيسون لانتقالها.
وأضافت تقول:

«كنت متعلقة بكنتيه لأشئ كنت خائفة. وحدث ذلك عندما أقبل توني».

النيط داني ألتفت. وكأنه كلل بنود تحت عيه ثقيل. وقال:

«لكن... هذا كل ما لي الأمر».

جارت كولي أن تعثر عن كلمات تقولها لشقيقها لكنها لم تجد شيئاً تقولهُ
سوى:
«جسداً...».

ولم تستطع أن تواصل كلامها لأن مشاعرها كانت مضطربة. فقد كان من
عادتها أن تنهي يشاكلها لأخيها. وهي في هذه اللحظة في لسن الحاجة إليه كمن

يضع الأمور في نصابها الصحيح. وبعد فترة من الصمت أضافت تقول:
«ليس الأمر هكذا. وإنما أحست بعد ذلك برغبة في قتاله... لكنني لم أفهم حقاً
سبب رغبتي. وكان سبب عييلي وأرتياكي ظهور توني الفاجي». كنت أرغب
في قتاله وهو شعور لم أعده من قبل وخاصة بعدما حاول كولي...»
وعاد الصمت بينهما قبل أن يقرر داني يقول:

«كولي... هناك بعض الأمور التي ليجهليتها عن جيس».

قالت كولي بصوت منخفض مما اضطر داني إلى الانصياع.

«سمعت جيس والعلم بين يتناقشان ذات يوم. عقب وصولنا وقد وصفه العلم
بين بأنه «قاتل» ليس هذا ما يتخذون عنه».

راح داني يتوسع كلامها قبل أن يجيب. وأخيراً قال:

«أجل. هذا ما أريد أن أحدث عنه. سمعت أشياء كثيرة وحكايات لا أدري مدى
صحتها. وفي أي حال. فإنه أكبر منك بثلاثة عشر عاماً. ولا أدري. إنما كل ما
أريده منك هو ألا تلتزمي منه كثيراً. وألا أقصاك ضرر بالغ».

وكانت هذه هي المرة الثانية التي نلتق فيها قصديراً. الأول من جيس
نفسه. وراودها هذا التفكير عندما بلغت الأسطبل. وسألت نفسها. هل ما زالت
تسير في نظرم طفلة. ألا يمكن أن يتفوا بحكمها على الأمور؟

وواصل سيرها في طريق مسررف. وكولي تلتفت حولها. الحديث الذي دار
بينها وبين شقيقها أثارها قليلاً. فلم تلاحظ المباني المحيطة بها. لكنها استطاعت
أن تثوب إلى رشدها. ورأت على بعد مئات من الياردات حظيرة كبيرة للماشية.
فحيطت بسياج منين. وتم تستطع أن تسمي جيداً نوع القطيع وراء الأسوار.
تلفتت أنتباه. داني. وسألته:

«ما هذا القطيع هناك؟»

«تقصدين القطيع في المظيرة ذات السياج؟ إنه قطيع براهيا يقومون شربته
أعزسه في مزارع الرودير التي تقام لاختيار أحسن قطع. وقد فهمت من

جيس انه مجرى بعض التجارب لتجهيته. والقطيع يحتمل الحشرات والطقس الحار. وهو أفضل بكثير من نوع الميرفورد و الانطوس. ومن خصائص قطيع براهما انه جليح. سريع الفطس. ولذلك كان من الضروري اقامة مثل هذا الساج المتبع حتى يمكن تجنب مهاجمته لأحد. فاعرضي يا كولي. على عدم الاقتراب من حظيرته. انهم لم يقصوا هذا الساج الا من أجل حماية الناس.

هزت كولي كتفيها مرة خفيفة. وتذكرت مبادئ الروديو التي كانت تعلم وتحرص على مشاهدتها. ومنظر الثيران الجاهزة التي كانت تدفع براجمها الى الأرض. لا لن تقترب من هذا القطيع.

رأت كولي شقيقها داني يسير الى حظيرة تقع في القطاع الجنوبي من الاسطبل. ويطلب منها ان تقدم وعندما اقربت قال لها: «هذا هو المهر الصغير».

ووضع داني يداً حافية على عنق المهر الذي تألق ثوبه البني. وأمسك بيد أخته كولي. وجذبها لتلف الى جواره وראה على الأرض مبدءاً في تراخ. ثم قال داني:

«هذا هو جوني الذي أنجبته القرس أخيراً».

ويبدو أن القرس كانت تشعر بأن داني يعرض المهر على كولي. فراحت تدفع المهر برأسها ليتهدى. وبعد محاولات نجحت الأمل في مهنتها. مما أثار ضحك كولي.

قال داني وهو يراقب شدة اهتمام شقيقته بالمهر:

«سبتمو خلال ثلاثة أشهر».

وحاولت كولي أن تلاطف المهر الصغير. لكن داني أسرع نحوها ليحميها من تحفز القرس الأم. واستدار يسأل شقيقته:

«أخبريني يا كولي... هل تحبين المزرعة؟ أعني هل ترغبين في البقاء هنا العمل يستلزم أكثر وقتي. ولا أبلى بصحتك كثيراً. لماذا كنت غير سعيدة.»

قاطعتها كولي قائلة:

«أوه... انني أحب العيش هنا الخالية قبالي طيبة معي. وأشعر بالذنب حيث لا أستطيع أن أرى ذا الجميل. لكنني لا أرغب في أن تقوم بعمل يرهقك فأنت تلقي أكثر وقتك في المطاير أو الاسطبلات».

قال لها بحاسة شديدة:

«هل تعرفين أنني أحب عملي هنا؟ انه مثير للغاية. وهل تتصورين أن نسي المدينة مثل يجب هذا العمل! ولكن هناك شيء الكثير المفروض عليك معرفته ليكون في وسعك ادارة مزرعة كبيرة مثل هذه المزرعة بنجاح هل ترغبين في رؤية جيد أخرى؟

أجابته كولي:

«أجل».

وسارا حتى يلغا حظيرة. فأعلنت كولي الساج الى جوار شقيقها وراحت تراقب الجبهة تركض هنا وهناك. واخرت واحد منها. وراح يداعب ذراع داني الذي قال:

«هل ترين يا كولي؟ انه لا يؤذيك. وانما يطلب منك بعض الاهتمام».

وراحت كولي ترتب بيدها على رأس مهر صغير. وعندئذ رأت طرساً تدنو منها لمأجفتها. وازدادت انصافاً بشقيقها. لكن القرس أخذت تدعك ذراعها فصاحت قائلة:

«أنقها ناعم للغاية... مثل الحرير».

واستغرقت كولي و داني في مشاهدة الجبهة. وأصبحت وانفة يتلصصها. وحرقة. فلم تعد تفزع من تحركاتها. بل كانت تضحك هي وشقيقها عندما ترى الجواد يلعب زميله. وفي غمرة ضحكها. لم ينشأ الى جيس وخرغام نحوها منطلقاً جواده. وبقية نال على داني. فأجفلت كولي. ورسالة:

«لماذا لا تصحب شقيقك في زهرة على ظهر جواد»

تطلع داني الى شقيقته وعيناه تقولان لها بوضوح ان تنسى هذه الفكرة.
ولكنها لم تستطع بالكتابة.

«أحب ذلك... ولكن...»

ضحك جيس ضحكة دغدغت أوصال كولي، ثم قال:
«أعرف أنك لا تحبذين ركوب الخيل. هل ترغبين في التعلم؟
انزلت كولي عن السور. كما فعل شقيقها، ثم قالت:
«بالأَكِيد... ولكن».

قال جيس مقترحاً:

«داني يستطيع تعليمك».

صاح داني بإصرار واضح:

«أوه... لا تعهد لي بذلك. لقد سرى معها كانت توافق على أن نعلم. ولكن
مواقفتها كانت لا تستطعن من الزمن أكثر من المدة التي أضع فيها الشرح على
ظهر الجواد ثم تغير رأيه».

سألت جيس وهو يشحذها بعينيه الزرقاوين:

«هل تحبين تعلم ركوب الخيل؟»

قالت كولي بصوت يشويه الغضب من انتقاص شقيقها لعزيمتها:
«بالطبع...»

وعندئذ صاح جيس متذمراً:

«غراي».

واستدار على جواده ليشاهد الماشي الذي أخرج جواداً من الأسطبل، وأردف
جيس يقول:

«أحضر الجواد ميستي هنا أن الأنسة. عاكفوير ترغب في ركوب جواد وقيق،
وابحث لك عن جواد آخر تقتطيه بعد الظهور».

سارعت كولي تقول:

«لا أعني الآن... قناعاً...»

ولكن جيس كان قد ترجل عن جواده الأحمر، وأقبل السانيس يفرد ميستي
وراءه، فتناول جيس منه اللجام، ثم حول وجهه نحو كولي. فرأت عينيها
تفترسان فيه بوحشية، والصرامة بلدية على ملامحه وأخيراً النقط أنفاسه، وسألت:
«ولم ليس الآن؟»

رأى داني المأزق الذي وقعت فيه شقيقته، فقال لها:
«هل هناك مانع من أن تقوم بجولة الآن؟»

قالت كولي:

«لا... ولكنني وعدت خالتي...»

وتعشرت الكلمات على شفتيها بحثاً عن عذر تتخلص به من هذا المأزق،
فأكمل جيس كلامها:

«ليست هناك أية مهمة تطلبها منك الآن الخالدة».

واستدار نحو الجواد، وراح يؤت على عنقه، ثم أردف يقول:

«لها لا تحبك يا ميستي».

«أوه... إنه جواد ممتاز أقصد ليس فيه أي شيء» معجب أنه مجرد...»

هز جيس رأسه يائساً، أسفاً، قال لها:

«هيكلك أن تخبريه بذلك بنفسك».

بدت كولي الفتاة الحسقاء، إذ تقدمت وهي مسطوية الارادة نحو الجواد،
وراحت تلمح في عينيه الرماديتين، فالساح الثقة في نفسها ولكن يؤكد لها هذه
الثقة تقدم الجواد منها وراح يسبح رأسه في كنفها، فأخذت تربت على رأسه، وظل
داني على حسنته، بينما قال جيس:

«ميستي هيكلك. ستمتطين ظهره، وتقومين بعدة دورات حول الخطمية».

أصبت كولي بالخجل من طول ترددها، فقالت مرارعة:

«جسناً...»

وحركت بصرها نحو شقيقها، وأردفت تقول:
«ولكنني لا أريد جمهوراً»
فقال ثاني متجهبها:
«سأكمل جولتي».

ولمحوّل عنها، متخذاً سبيلاً إلى الأسطبل، وهو يلوح لشقيقته مودعاً، ومتنبهاً
لها حشاً بعيداً. وعندما غاب ثاني عن عينها، استدارت لتسأل جيس:
«والأول... ماذا نحن فاعلان؟»

تأول جيس بعدها زواج يعطيها إرشاداته،
«نعال إلى الجانب الأيسر من الجواد»
سأته كولي:

«هل من الضروري أن أمتطي الجواد من هذا الجانب؟»
«هذا أفضل... لأن من عادة الجواد أن يدير رأسه إلى هذا الجانب ليرى راحته وهو
يقترّب منه قليلاً بحيث أنت إلى الجانب الآخر، لأن يتوقع قلوبك فيجفل».

لثالث كولي:
«أذن... فالإنسان لا يجب له أن يمتطي الجواد إلا من هذا الجانب».
انضم جيس وقال:

«وليس هذا صحيحاً فالخيل الممر يمتطون جيادهم من الجانب الأيمن. وكانت هذه
الفصيلة المبررة لم سأق في انتقال الفصيلة من الفرسان تعرضت لكمين تصوره قائ
تخلوها حديثه، وبدا الاهتمام على وجهها تسأته».

«هل حقيقة ما تقول؟»
«كان من المفروض أن تلتقي فصيلة من الفرسان عند نقطة محددة. وحدث أن
شاهد كثرة إحدى الفصيلتين موقع الفصيلة الأخرى. فاستدار البدم تقريره
لثالثه عن مكانها. ولكنه قوحي. بأحد الخنود يمتطي جواده من الجانب الأيمن
وعلى اللون أدرك أنه الخنود الممر أبادوا الفصيلة، وسرقوا ملابسها

العسكرية... وأرتدوها. وتصبوا كميناً... لا بد أن الفصيلة الأولى. لكن لا
أروي لك هذه النصة لأبسط من عزيمتك فتراجعني عن تعلم ركوب الخيل»
شخصت كولي بصرها إليه في خجل، ولمحشها بأنه يتسم في وجهها،
والتي اللجام فوق رأس الجواد، واستدار نحو كولي وأشار إلى درجة تظهر
الأرض وتقع إلى جوار الجواد. وقال لها:
«ارني هذه الدرجة. وضعي يدك اليمنى على المرح، واليمنى بيدك اليسرى
على اللجام، وتبشي بها عند علق الجواد لا تدبري ظهورك للجواد. ولكن رأسه
نصب عينيك. وكوني بقلعة تحركته. والآن ضعني قدمك اليسرى في الركاب»
استث كولي لإرشاداته، لكن نوازتها احتلّ قليلاً عندما بدأت تضع قدمها
في الركاب، ولحسن حظها لم يكن الجواد فسخم الجسم. وكانت هي فارعة الطول.

وقال لها جيس:
«لا عليك. ارفعي جسمك إلى أعلى».
واكتشفت كولي أن الأمر ليس سهلاً كما تصورت، إذ لم تكدر ترفع جسمها
إلى منتصف المسافة. حتى فقدت نوازتها لتسقط على الأرض. فغطت إلى
جيس لكنه لم يتفوه بكلمة. كورت المحاولة ثانية وفي هذه المرة نجحت وكان
جيس يدفعها أثناء الحركة حتى استقر جسمها في النهاية على ظهر الجواد.
وأخيراً حلت منتصف النامة، وبدعا اليسرى على السرج، ثم راحت تحدّق في
الأرض تحت حوافر الجواد. فلا يرى جيس موجات الاضطراب التي كانت
تخدر حواسها. وبذلت جهداً لئلا تنم سكتاتها عن شيء كهذا. لكنه كان مشغولاً
عنها بأعداد جواده. ثم أمسك الجواد، وأخذ يسحبها وهو يتحدث إليها بصوت جاد
فانلاً:

«سأقود جوادك إلى خارج الأسطبل كي تعاندي على حركته المطلوب منك أن
تسترخي، ولا ليعين جسمك متصلباً. وإنما سأبدي الجواد في حركته. أثناء

اطلاعه.
ورقة ٢٧

حدثت كولي في نقطة تقع بين أذني الجواد وحاولت أن تسترخي كما أمرها جيس. وكان الأمر يبدو سهلاً. إلى أن توقف جيس عند باب الاسطبل ولتجه. وقاد الجوادين خارجه، ثم ألحق الباب وراءه. وبعد ذلك أعلى السرج بسهولة. وسار في محاذا جواد كولي ورفع يدها عن مقدمة السرج، وبعثها بمحذرات فيها قابضات ريقها بعصبية. وطلب منها أن تشك اللجام بيدها اليسرى وأن تدفع ذراعها الأخرى لتدلى إلى جانبيها.

وأراها جيس طريقة استعمال اللجام. كيف تسمعه على عنق الجواد لتجعلته يدبر رأسه ويثقل راحته. ثم التزول المطلوب بين ينيها وبين فمه. والأهم من ذلك الوسيلة التي تستخدمه بما كي يتوقف الجواد عن مواصلة السير.

وأخيراً قال لها:

«سنقوم الآن بجولة حول الحظيرة، الضمطي ستليك ركعيك على بطن الجواد واستجابت لتعليماته قبل أن يبدأ الجواد في السير وبعد أن قامت بدورات عدة حول الحظيرة شعرت كولي أنها بدأت تحسن قيادة الجواد فاستقرت قليلاً. وهنا قال لها:

«والآن جاء دور التدريب على مرحلة جديدة في قيادة الخيل. وهي أن تكون سرعة الجواد بين المشي والعدو. واضمطي ستليك على بطن الجواد كما فعلت من قبل». ودفعت كولي الجواد إلى الأسراع في خطراته، لكن جسمها بدأ يهتز توازنه فوري ظهر الجواد. وكانت تهوي، فجذبت اللجام لكي يتسهل الجواد في سيره. وقد بدا القزح في نظراتها عندما غطت على جيس. فقال لها:

«يجب أن يمسك وأنت جالسة فوق السرج، وسأبدي حركة الجواد إلى الأمام وإلى الخلف. ولا تتحركي ضد حركته. حاولي مرة ثانية».

ورأوتها فكرة أن تتوقف عن مواصلة التعلم نتيجة الغباء الذي تكايد من التدريب الثاني. لكنها وجدت نفسها قد قطعت شوطاً كبيراً في التعليم. فسارعت إلى تثبيت سائليها على بطن الجواد كما قال لها جيس ونجحت.

محاولتها في قيادة الجواد إلى حد ما. وأن كان توازنها ما زال يهتز قليلاً، ولكن ليس بالصورة التي كانت عليها في بداية التدريب. وقامت بدورات أخرى. وكان جيس حريصاً على أن يكون على حافة منها. وأخيراً أمرها قتللاً.

«الآن، قلندياً التدريب على الجواد وهو يجتنب في خطراته».

ولفت كولي الجواد حتى باتت خطواته أسرع. وصاحت فرحة.

«هذا سهل للغاية».

أوقف جيس جواد في منتصف الحظيرة، وراح يراقبها وهي تقوم بالدورات. وأخيراً طلب منها أن تأتي إليه. فبعت رأس جوادها وسارت به إلى حيث يقف جيس الذي قال لها:

«وتكفيك ما تلقيت من تدريب اليوم، وستصبحين أدهر فارساً بمزيد من التدريب. سأخبر السياس بأن ميسبي أصبح جوادك، ويحكك تطلبه في أي وقت تشائين. وتطوفين به هنا في المزرعة خلال الأسبوع المقبل أو حتى نعتادي على قيادته بسهولة».

ربتت كولي يدها على عنق الجواد وهي في أوج سعادتها. ثم صاحبت فائقة:

«أشكرك».

ثم انزلت عن ظهر الجواد، ورفلته إلى السور وجيس يتابعها. فاستقرت تقول له:

«لم أفكر يوماً أنني سأتمكن ركوب الخيل. كنت دائماً أسأب بهلع، لكنك وهبتي الفرصة».

فقال جيس وهو يستند إلى السور:

«هذه هو الرأي السائد».

فالت كولي:

«ما زلت أشكرك... لأنك علمتني السباحة. ثم دربتني الآن على ركوب الخيل...» وتوقفت عن مواصلة الحديث، وتطلعت إليه وفي نظراتها أحساس مفاهي.

بالذهب ثم قالت له:

«أعترض لك عني يفر مني هذا الصباح عندما كنا في حوض السباحة»

قال لها جيس: «برود، وهو يشيح بوجهه عنها، فاستقر بصرها على ثدييه
«لم يحدث شيء أبداً... إلا ما دار في خيال توني».

كانت كولي وهي تطرق بصرها نحو خذاتها الذي غطاء الرجل:

«ولا أقصد ذلك. ولذا أرجو ألا تكون الأمور في ساءت بالنسبة إليك»

سألتها وهو يرمقها بطرف عينه:

«كيف تتصورين ذلك»

تشرح وجهها بعمره الخجل، وقالت له:

«حسناً. أعرف أنك تعيش هنا في المزرعة وسط ظروف حرجة. ولا أدري السبب.

ولا أريد أن أفعل شيئاً قد يسيء إليك. كنت رأتها في سلوكك معي. ولا أريد أن
تواجه مزيفاً من المتاعيب».

خلق جيس في وجهها، وعلى وجهه علامات انتهم. وعندما رأى الفلق

بالأدب في عينيه، أصرع ورسم ابتسامة على شفتيه وقال لها:

«لن أواجه شيئاً لا تلقى علي يا زهرتي الصغرى».

ابتسمت بنورها، وقالت له:

«أنت تعرف أنك مهندس جيد للغاية. ويمكن أن التحيكت وأنت تفرس الصغار»

وراح خيالها يصورها صورة أولاد صفار ذوي شعور سوداء وعميون زرقاء ثم

استبطلت من أحلامها عندما سمعت صوته يقول لها:

«لن يكون لي أولاد أو بنات»

وكانت عبارته بنسجها البرود والقسوة، ونديته لغتها من جديد قرأت نظراته

مليئة بالسخرية والاحتقار وبعد هنيهة واصل كلامه قائلاً:

«لأنني ببساطة لن تكون لي زوجة».

انتاب كولي الحرق. عندما شاهدت علامات الغضب والبرود على وجهه.

لأنه:

«لأننا لا نتزوج»

قال جيس ببرارة:

«لأنني لا املك شيئاً أستطيع أن أقدمه قلته الزوجة. لا البيت ولا المستقبل ولا

الميراث للأولاد. لا شيء أبداً».

وجعلت كولي في رختها حيث رأت التدبة تعكس بصر نورته فرفع يده

وشبها بخفة بأنظاره أصابعه. وقال ساخراً:

«لقد هذه التدبة أنتها لزوجتي».

وسطر وتركها في حست. وكلباته تشعها

٥ - الشور قتل اخاه

راحت كولي تضرب بفرعها صفحة الماء، وتستمتع ببرودة تحت ظمئ شمس الصيف، وهي تشكر من أعناقها جيس لأنه أتاح لها الفرصة لكي تسبح وحدها بشرط ألا تتدخل في النظرة العميقة. كما أصبحت غطسي جوادها ميسني وحدها بشرط ألا تتجاوز الأراضي المحيطة بالخطيرة.

ولكنها أحت أن جيس أصبح بعيداً، متائناً عنها منذ الفرس الأول في ركوب الحبل، وكأنها غريبة عنه وفكرت كولي في أن تكون لثورتها مسبب تباعده. وكان له سافر أمس إلى مدينة سان أطلون وعرفت نبأ سفره عندما سألت عنه وهي تجلس إلى مائدة العشاء. كان في وسعها على الأقل أن يقول لها إلى اللقاء.

وشعرت كولي بالكآبة، والألم وهي تفكر حوض السباحة، وطلعت تحلف ذراعها وساقها. انها لم تكن حسنة، وكم من المرات أخيرها جيس بذلك. حسناً انه شخص غير حساس. ولم يلبث أن انتشلها من أفكارها صوت توني وهو يقول:

«مرحباً، أينما الفتاة الذهبية، مثلاً نعلمين هنا وحدها؟ ألا تعرفين أن وجود شخصين معاً يصنع صجة جميلة».

والحالة والعلم يستريحان الآن، و«داني» يقوم بجولة في سيارته وجيس مسافر وأنا هفت ذراعاً بالجلوس على المقعد في هذا الجو الحار. وأنت. أين كنت؟»

سألتا توني وهو يتناول الشقة من يدها ليساعدا في التجلفي: «هل تعلمين أنني كنت أبحث عنك؟ كنت أظن أنك تقومين بجولة على ظهر جوادك».

ناولها الشقة، فلتت راحته، كنفها بيها كانت تقول له:

«الجو حار للغاية. ولا يسح ركوب الحبل، ولذا كنت ترغبي في رؤيتي».

داني يحتاج إلى قطعة غيار لسيارته وتطورت بالتوجه إلى الحديقة لاحتضارها له، لعل ترغين في الذهاب معي له.

ابتسمت كولي وقالت له:

«أحب أن أذهب معك. انتظر قليلاً لاستقبل ملاسي».

قال لها توني وهي تخرجه بسرعة نحو البيت:

لا تتأخري ابتها الاميرة. أحب أن تكوني كذلك... ملكاً لي».

أمرعت كولي باستبدال ثيابها فارتدت ثوباً قطنياً، ووضعت لمسات من مستحضرات التجميل على وجهها، ثم مشطت شعرها في مرجات خطابة، وبعد ذلك أخذت تهبط السلم لمقابلة توني. ولد أحييت باهتمامه الزائد. انه منذ شاعدها مع جيس في حوض السباحة برأتها وفي عينيته يريق جعلها تزداد وعياً به، أكثر من وعيها بأنه ابن أخت - بنت.

قدم لها يده، وقادها عبر الباب، وإلى خارج البيت ثم قال لها:

«الحالة الذهبية في انتظارك يا ساندربلا».

ابتسمت له بخفر وجيا، وهو يفتح لها سيارة الكاديلاك وعارضا على الجلوس في المقعد وشعرت فجأة بتاييح الشقة لتفجر في أعناقها، وأخذت تستمتع بتفكرات الاطراء التي تدور في عينيته، وراح يهاديها أطراف الحديث، ويجاورها بمحادثاته التي جعلتها تفجر ضاحكة، فلم تشعر بالسرعة الزهية التي كان يقود بها السيارة، وقجأة وجدته يلف أمام أحد المتاجر، واستأنفها في الثياب خبطة، فلما راحت كولي وأنها على مسند المقعد، وأخذت تمحذ عبر النافذة، وتحلم

وتساءل: ترى أين جيس الآن؟ وماذا يفعل؟

وأفادت من أحلامها عندما فتح ثوني باب السيارة، وألقى طرفاً صغيراً على المقعد الخلفي قبل أن يجلس وراء عجلة القيادة.

قال لها وهو يدير محرك السيارة وينطلق بها:

«قلت لك اني لن أغيب عنك طويلاً... هيا بنا نتاولي مشروباً مثليها».

والفتت كولي قائلة:

«عظيم جداً».

وعندما وقف ثوني أمام أحد الأكشاك التي تبيع المشروبات، طلب من

المصيفة مشروباً مثليها، ثم تحول نحو كولي وسأله:

«كيف كنت تفكرين... منذ دقيقة؟»

«متى؟»

«عندما جلست وراء عجلة القيادة، كانت عينائنا حائتين؟ هل أتصور أنك تفكرين

في؟»

داعيته كولي قائلة:

«أنت عظمى... في الحقيقة كنت أفكر في جيس».

انعددت تقطيعه قرق، جيبته غير مصدق أذنيه، وسأله:

«تقولين جيس؟ قيم كنت تفكرين بشأنه؟»

دهشت كولي من لبرته الخريبة، فأجابت متلعثمة:

«أنا... أنا... أعلم أنه ذهب إلى مدينة سان أنطوان... كنت أسأل فقط إلى

أي مكان ذهب؟ عشنا في تلك المدينة ذاتي وأنا... هذا كل ما في الأمر».

أجاب ثوني ببتيرة اعتذار:

«حقاً... نسيت ذلك».

ثم تطلع إلى ساعته، وأردف بقول:

«أتصور أنه مستحق الآن على حافلة حوض السباحة، في مصحة لغة ساحرة ترتدي

البكيتشي».

سأله كولي، وهي تتصور منظر جيس بصحبة فتاة:

«هل له صديقة؟»

أجاب ثوني مأكراً:

«أه... أن لديه العديد من الفتيات، بالتأكيد أنك لا تتظن أنه واحد. أليس

كذلك يا كولي؟»

أجابت:

«بالطبع لا...»

قال:

«كولي... أحياناً، تبدو المتابعة على وجهك، حتى أنك لا أضيق ذلك».

عندئذ انحزت وجنتها، فاقتربت منها وأمسك بيدها ثم قال:

«كم أنت جميلة مثيرة».

أزدهت النظرات التي أرسلت في عينيه، وأسعدته ومسول المصيفة

بالمشروبات، فقد اضطر ثوني أن يترك يدها، وعندما تناولت الكوب منه

ابتعدت حتى التصلت بالياب.

قال ثوني ساخراً:

«هل تسببت في مضايقتك يا أمبري؟»

قالت كولي بكبرياء:

«كلا، لا أوري لماذا يحاولون جميعاً أن يضعوني في صندوق مكتوب عليه «قابل

لللكم»؟ لقد بلغت العشرين».

وفيما راحت في مخيلتها صورة تلك الليلة التي حاركت فيها أن - تسببت

جيس أنها بلغت مرحلة المرأة الناضجة، وأفادت على صوت ثوني يقول:

«بالتأكيد، أنك لا تستطيعين اتهامي بأنني أجهل منك».

أجابت غاضبة:

«هل اني أجهل، فأنت لا تختلف عن الآخرين، أنت تعاملني كطفلة ترحه إليها،

الأوامر».

هو توتي رأسه فأنلأ:

«كيف استقر رأيك على ذلك؟»

«أنا كولي بجمعتها نحره، وفألت»

طليحة السرية الثامنة التي تكتشف أمر جيس = كل شخص يعرف ماذا حدث
وسبب الشبهة الموجهة على وجهه، كل شخص يعرف... إلا أنا. وكل مرة أسأل
فيها عن الموضوع، يسارعون إلى التهرب على رأسي، ويظلمون مني أن أذهب
أأخر مع نفسي كأنني طفلة صغيرة.

انفجر توتي ضاحكاً لكللماتها الغاضبة وقال:

«كيف يجرؤ أحدهم أن يفعل ذلك معك! فالقصة معروفة للجميع»
سألته:

«لقد فقدتني لأخي داني أن يعرف القصة؟»

«أجل يا أميري... أنت الآن واحدة من أفراد الأسرة... ومن حلك أن تعرفي ماذا
حدث؟»

سألته كولي لاهة الانفاس:

«استعبرلي يا توتي!»

ختم عليه الفست برهة، ثم قال باهتمام:

«لا أفري حقاً كيف أبدأ القصة. كان ريك يكرأها جيس يعامين وأعتقد
أنه كان يقول على أفعابك لو التفتت به، فهو شخص يهون على استعداده لأن
يفعل أي شيء... وكان ريك الشخص المفضل لدى العم بن الذي كان
يرافق دائماً على كل ما يفعله ريك أو يقوله. وذات ليلة جاء ريك متأخراً
ومتعباً، ونوجه إلى الحظيرة حيث يوجد الثور الضخم سائناً وراح ينطيه
كالبهلوان حتى أثاره بحركاته فألقى به أرضاً. وقال جيس انه سمع غوار
الثور، فأسرع ليحجب ريك من بين حوافه بعدما طعنه الثور طعنة نجلد،
كذلك لم يسلم جيس من هجمات الثور الذي أصابه في وجهه.

لم يكن العم بن قد أصابه السلسل في ذلك الوقت، رأسه يجلس على

الأرض، ويضم ريك بين ذراعيه، والصمغ تنهمر على وجهه ولن أنسى
صورته وهو يبكي ويصرخ كالطفل. ولا أعرف أين كان جيس في تلك
اللحظة، وما كان يطلب الامعاف، وكان ريك ما زال على قيد الحياة، والعم
يصرخ في وجه جيس وهو في السيارة وظل يذلي و جيس جامد للشبهات،
وقد مات ريك في غرة العمليات.

صمت توتي قليلاً، ثم استطرده يقول:

«اتتيد جيس للتحقيق معه، فقال: انه لم يستطع أن يظن ريك من برائن
الشور، لكن بن راح يصرخ ويتهمه بأنه كذاب وأنه ترك أخته يموت لأنه
يعرف أن ريك سوف يرث المزرعة. ولم يخلو جيس بكلمة، وترك الرجل
الكحول يقول له:

«أنت ستحصل علامة قايين على وجهك طوال حياتك وبعدما سقط العم بن
مشلولاً، ينتقل من مكان إلى آخر على مقعد متحرك».

وختم الفست على توتي الذي تطلع إلى كولي فرأى وجهها شاحباً
قامتدعي المضيق لتحمل الكوبين، ثم وجه حديثه إلى كولي فأنلأ:

«الآن وقد عرفت القصة، فهل أنت سعيدة؟»

ولم تلب كولي ولم تلتح لها طوال الطريق وهما عائدتان إلى البيت، لقد
فلتت لمصالح غير النافذة. وعندما بلغتا المزرعة انسلت خازجة من السيارة،
وأسرعت تتخذ طريقها نحو غرقتها، واستلقت على فراشها تحلق في الزهور
للثأفة المرسومة على الجدران.

فل الجواد وفارسه صامتين داخل الحظيرة، وراحا يمددان في التلال التي تقع
عند الأفق البعيد. وأخذ الجواد يصهل يائساً وتهدت كولي كأنها تتعاطف
معه. وراحت تربت على عنقه بحتان وتحدثت:

«كم أود أن انطق بك! ولكنك تعرف ما قاله جيس يا ميسني».

وكانت كولي تشعر بالأسى لقصة وفاة ريك التي رواها لها توني منذ ثلاثة أيام، وكان جيس قد علة من رحلته إلى سان أنطونيو، لكن كولي حرصت على ألا تنفرد به. كانت تدرك تماماً أن الملائكة لم تكن هي الوصفة التي ارتبطت بشخصيته، وإلا القصة هي التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من طبيعته، وأفادت عن أفكارها على صوت يقول:

«مرحباً إلى أين ستصين بجوادك يا أميري الصغيرة»

واستدارت كولي برأسها لترى توني يفرد جواداً نحو بوابة المظلمة، ففألت:

«مخطور علي أن أتبعك عن الخطيئة، ولكن، أليس من المفروض أن تكون الآن في عسلك»

وبالرغم من أنها كانت تشعر برغبة في القيام بجولة فوق جوادها إلا أن هذه الرغبة أنطفأت، لأنها لا تحب أن يطلق معها توني، أما هو فقد قال لها سافراً:

«عمل هي واحدة من تعليقات جيس، أو أنك لا تشعرين بالأمن إلا في صحبته»

سألت كولي معترضة:

«فلماذا تفعل ذلك؟ جيس لا يريد أن أطلق بالجواد وحدي، وأنا لا أهي أن أعزفك عن مواصلة عسلك»

قال وهو يزيح المزلاج ليلتح الياب:

«أنتك لست تعطيني عن عملي... فقد طلب مني جيس أن ألتحق البشر في القطاع الشباني. فيها واحدة من تعاليم الحقاء. وهكذا يمكنك أن تصحيني في جولي»

وامتنعت جواد. وسار به حتى أصبح في المحاذرة كولي، التي سألت:

«فلماذا تقول ذلك؟»

قال مزجراً:

«الأمطر هطلت بغزارة، ولدينا ما يزيد عن حاجتنا لتروي جوادنا هناك، ولكنه

يتعدى أرسالي»

ولم تكن كولي في حالة تسمح لها بفائقته بشأن جيس، فدخلت جوادها إلى العنق، وبادر توني إلى دفع جواده بدوره في محاذاتها فقالت له:

«كنت أنا وجوادي غيبشي. نزلني في أن تقوم بجولة»

فقاطعها قائلاً وهو يحدق بعينه في اعجاب:

«أنا سعيد أن أتاح جيس لي هذه الجولة معك، وأن أحقق أغنيتي بصحبتك، ولأرجو أن تتحقق أميتك هذه الجولة»

ولفقت كولي بحبل بصرها حولاً باهتمام زائد، فقد كانت هذه أول مرة تتجعد فيها عن المروعة. وراحت تطوي الأرض نحو التلال الجميلة، والجبال النائية. وبعدما قطعاً عدة أميال، بدأ توني يبطئ، ومن سير جواده، قشمت كولي اللجام لتكبح جماع جوادها عن الانطلاق، بينما كانت عيناها تتألمان بالسرور والبهجة، وصاحت غائلة:

«دعاً أحل هذه الرحلة أنك مخطورة لأن تقوم بالجولة وحده»

أوقفت جواده عند زاد صغير، وهو يقول لها:

«استمتعت بها اليوم فقط لكنها كانت مثله في الأيام السابقة»

وكان الرادي يتعذر ليكتشف عن مرضى. يشقه يجري بشكللاً بالماء القضي، ولاح تطيح من الجياد بين المشاش الكتيقة، وعند مشارف - الوادي، وقفا وقال توني لها:

«لدينا أحسن سلالة للجياد ندر أفضل الأثنان عند بيعها»

أخذت كولي ترافب القوية وهي تقرب منها، بينما أخذت الجياد ترحل في القبايع شتى، أخذ توني يروي لها تاريخها ففألت له كولي:

«أنت مخطورة لأنك تعرف كل هذا، متى جئت نقيم هنا»

قال توني: «وها يشرعن في السير ثانية»

«جئت منذ سبع سنوات بعد وفاة والدي. كنت حينئذ في السابعة عشرة من

عمرى. وكانت أمى شقيقة بن... مسكين أبى عمل في هذه المزرعة. وطن أن
زواجه من شقيقة بن... سيحلق له كسباً كبيراً، لكن للأسف لم يكن يعرف
بن... جيداً، أمى امرأة سليطة اللسان، دائماً تذكر أبى بما فعلته من أجله، وكانت
تتهمة بأنه السبب في هذه الحيلة البائسة التي كنا نعيشها. وكنت في الثانية عشرة
من عمرى عندما ثارت ثورتها الغاشية التي أودت بحياتها، ولكن أبى كان
يبحث عن الحيلة السهلة، فتورط في تهريب المخدرات عبر الحدود، وأصيب
بالرصاصة في معركة دارت بينه وبين الشرطة في إحدى محاولاته، وعلى فراش
الموت ألقى لي بأننى أحد ورثة المزرعة وعلى أن اطلب تنصيب ليها أنها قصة
محزنة. أليس كذلك؟ لقد أخبرتني داني بأن قصة حياتكم ليست مبهجة، أننا
مشابهان يا كولي.

وأحست كولي بحسرة في حلقها، منعها من الاجابة، فبالرغم من يؤس
توني لكنه يبدو دائماً خلى الال وهو يحاول مداخعتها والترويج عنها، ولكنها
تسى. الظن به. يساعدها على أن تحتل مكانها كواحدة من أفراد الأسرة. وفي ذلك
الوقت تفرقت الدموع في عينيها، لكنها قاسمت حتى لا يرى توني على
وجهها اثار الدموع التي تفس بها نغمو. شغلها ذلك عن متابعة المساعدة التي
تراكمت في عيشه وهو يتأمل وجهها ويادبرها قائلاً:

«كولي، انظري»

وتلفتت حولاً في دفتة، قرأت بمصوعة الجهد تركض هنا وهناك، وعلى البعد
ألميت سان صغيرة ورائحة التلال والجبال الشاخنة. كما شاهدت لطيفاً من
الماشية يتجوزل في المراعي التي تقع بين المزرعة والوادي.

قال توني بهلوه:

«فقد أراضي سلاش آس مسافات بعيدة، ويقولون ان مساحتها تزيد على
ستين ميلاً مربعاً، ويقر ثمنها بالملايين. والان يتخيل الي أنها ستصبح ملكي...
يوماً ما».

صمت قليلاً وظل يتأمل وجهها لفترة ثم استطرد بقول:

«أنت تعلمين أن بن... ازداد ولعاً بك خلال هذه الأسابيع القليلة وأخير الحالة
بأنك تتسمعين بالعزبة والكيرباء. وأتضر بأن واجبي ان أحضره من أن جيس
يعرف بحب بن... لك، ويحاول أن يستخدم من هذا الموقف سلاحاً لأهوا أمانك
في صورة سينة، فيعهد الي القيام بأعمال مهينة. كالיום، تم يخبر بن... بأنني
غير جدير بثقتي. انه ينبغي أن يفرز بالمزرعة بأية وسيلة ممكنة.

وتفلف توني عن مواصلة السير، وأدار وجهه المتجه نحو التلال رقى هذه
اللحظة تذكرت كولي كلمات جيس التي وجهها الي بن... عندما قال له
ان توني سيحاول تدبير كل شيء... في فترة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً.
وأخيراً سألته كولي بمرود واضح:

«لو كان ما قلته لي عن وفاة ريك صحيحاً، ألا تكون المزرعة من نصيبه»

وان صمت طويل وبدأ توني كأنه يختار كلماته قبل أن يجيبه وأخيراً قال
له:

«لا أحد رأى ما حدث... ولا تعرف شيئاً إلا ما أخبرنا به جيس والمصريات
التي أطلقها. ريك وهو يطلب من أبيه أن يده له يد المساعدة»

«ماذا كان يحدث لو أن أحداً غير جيس كان هناك في تلك اللحظة؟»

سألتا توني بهلوه:

«وماذا عن تور شته ثلاثة آلاف جنيه أشاح الجمرة في أوصال جيس وأثار
الفرع في نفسه، فشل حركته»

سألتته كولي لاهلة الأنفاس:

«هل هذا ما تعتقدته؟»

أجاب توني بهلوه:

«فما محتمل... بن يعتقد أن جيس يريد أن يفرز بالمزرعة، ومن المحتمل أن
تكون ملكاً لي».

وابتمت ابتسامة كشفت عن أسنانه البيضاء، ثم استطرد بقول:

«وما الذي جعلنا نتحدث عن موضوع كتيب في حين أننا ما جتا الي هنا الا

للاستمتاع بنزعة خلوية؟ سأطلب منك المكوث هنا. بينما أخرجك إلى التل وأفحص آلة صنع الماء.

هزت كزلي رأسها موافقة، إذ كانت في أمس الحاجة إلى فسحة من الوقت للتفكير في كل ما قاله. ثم نوى، وانتمست له وراحت تلوح له بيدها وهو يسعى بجواده نحو التل، وراحت نظراتها تتابعه حتى اختفى عن بصرها، فأطلقت تنهيدة مكتومة، وترجلت عن جواده، وأرخت عنقه، ثم ألقت بجسدها على المنحدر ودبعت بجذعها إلى الوراء، وراحت تشأمل السماء الزرقاء.

وتساءلت كيف أنه لم يخطر ببالها أن خضونة تونسي تابعة من يؤس طلوت، وتذكرت أن خطوط المرارة نفسها كانت ترسم على وجهه. لعل أن بأنها إلى المزرعة. الظروف التي أُلقت بحياة تونسي المكورة تشبه تماماً الظروف التي مرت بها وبأبيها. ولينها ما تبادلته معه الحديث عن جيس. لأن كثيراً مما قاله تونسي يبدو متطلياً، خاصة أنها رأت الجهادة والقصة على وجهه وحاولت كزلي أن تصور بجسدها لتسريع عمل جنينها، وكأنها تيقن أن تدبر ظهرها لألمعزها.

وقبابة جذب انتباهها صوت خطوات بعيدة، إذ تعثرت حوافر جواده في ميسبي في اللجام، فانتفضت كزلي واثقة بأوه... ميسبي... أنتي أمسة... كان علي أن أعرف أنك ستعثر في اللجام. سأعقده فوق السرج.

وقبابة عن الجواد رأسه، وانطلق يهبط المنحدر لصاحت كزلي:

هال أين أنت ذاهبة يا ميسبي. عد إلى هنا.

وراحت كزلي تجري وراء الجواد عليها يسلك به، ولكنها لم تكن تقطع تصل المسافة حتى رآته يتوقف قرب قطع أشجار، وحاولت أن تدنو منه، لكن صهيله أزعجها بعدما كثر عن أنيابه. فأدركت أنه لا يريد منها أن تقرب من القطيع الذي يلوح بهما منه، وتلفتت حوله في بأس فرأت حصلاً من الأشجار يرتفع عالياً في الجانب المواجه لها من الوادي وإلى يمينها صخرة ضخمة، ووجدت أنه من الأفضل لها من تعطلها حتى تأمن على سلامتها من جواده الغاضب. إذ أحست

من وقع حوافره وهي تدرك الأرض وتظارته الثابتة رغبته في مطاردتها. وبصوتها بالقة تجعت كزلي في أن تعتل الصخرة، وراحت تنادي:

«توني... ساعدني...»

وراحت تجول بعصرها في الراعي وهي تأمل في ظهور تونسي وانطلقت تصرخ لكن صرخاتها تبدت وبحولت إلى تعجب مكتوم، فبدأت تهدئ من روع نفسها وتدلج جسدها إلى الاسترخاء، وتلوي عينها بالتمعن بالمناظر الطبيعية وما كان عليها بعد ذلك أن تفعل شيئاً سوى الانتظار.

وتناهى إلى يسفها وقع حوافر جواد أنياً من ناحية التل. وبعد عدة ثوان لاح عند قدمه الجواد وقوله فارسه. فالتفت كزلي أنفاسها وحذقت في الراكب. وبالرغم من بعد المسافة عرفت من طريقة جلسته الحاذقة والثقة المفرطة في قيادة جواده الأخرى... أنه... جيس... صاحبت كزلي عالياً وهي تلوح له بيدها بجنون:

«جيس... جيس...»

وفكرت... ماذا تفعل لو أنه لم يبصرها؟

وقرعت من الشكوة واعترى الشلل أوتار صوتها. وما كان منها إلا أن ولقت على الصخرة وكررت مسجاتها:

«أنا هنا... أنا هنا... فوق الصخرة...»

وفجأة أقبلت تواريتها فانزلت الصخرة، وأطلقت صرخة تصيرة، وهي تحاول أن تثبت بحافنها بكل ما أوتيت من قوة وأخيراً نجحت في أن تستوي بلامعها فوق الصخرة بعدما ثبقت بلموتها. فأطلقت لدعوتها العنان وأنسابت بحجري فوق حذبا، ونظمت بعينها الغرورقتين نحو التل حيث شأحت جيس. ولكنها وجدته اختفى.

وأصغرت فسمعت ضجيجاً خافتاً وأدركت أن صوت هذا الايقاع الذي كانت تسعد لم يكن جاداً عن قلبها وإنما هو وقع حوافر جواد. فاستدارت لترى تونسي يقطع المنحدر بجواده، وهو يلوح بحول في يده ليطرد قطع الجياد الذي ابتعد سرباً. وما كاد يتسرب من قاعدة الصخرة التي تقف عليها كزلي حتى تزعج

عن جواده، والذئع شاعداً على الميوط وكان وجهه شامخاً كوجهها. وإن كان
الانتصار بادياً على ملاحمه، وسأله وهو يتنصم:
«هل أنت بخير؟»

هزت رأسها بالإيجاب، وإن كان صوته قد ترقف عن الانطلاق من حلقها.
وتطلعت بعصرها إلى التل حيث كان يقف جيس من حطاط لكن لم تظهر أية
علامة تنبر إلى وجوده. فتسألت: «هل كنت أنوهم وجوده؟ وثابت إلى رشدها
على صوت توتني وأصمت يديه ترتجان على ذراعها وهو يقول لها:
«كنت أظن أن يحدث أمر سوء لك... أين جواده؟»

فأثت كولي بصوت مضطرب:

«انطلق مع القطيع... أوه... توتني... أنتي شديدة لزوتك».

«استنني يظهر لك إلى الصخرة، واسترخي، لا تقضي، سريعا سوف أملك جواده،
أما الآن لعدعني ألي نظرة على يديك».

واحتلت كولي الأوامر، ونظرت إليه وهو يمسح واحتياها يندهل ثم قال لها
وهو يتطلع إلى عينيها:

«استسلمي بالله، عندما تعود إلى المزرعة».

وسقطت نظراتها على يديها، ولكنها عندما تطلعت إلى بلورتها المزعقة، سارعت
برفع يديها لتغطي صدرها العاري، ثم رلعت رأسها وقد توردها وجهها بحصرة
الحجل.

تلاذت عينا توتني سرورا وهو يلس وجنتها بيده، ثم قل:

«كم هو جميل... منظر القاة الحجل»

وتلوت ثرة صوته عندما الرلت يدها لتستفر على جنبها، فسأله يشغل

«أليس من المعتاد أن تعانق السيدة فارسها؟»

وبينا كان وجهه يقترب منها، لاحظت أمام عينيها صورة ليعة مرت بها ذات
يوم، وكانت صورة كازل أما الآن فانها ترى أمامها توتني ولده انتاجها
شعور الرطبي، فصاحت بحرقه وهي تتخلص من راحته:

صاح مندوها غير مصدق غيبه وأذنيه:

«هل أفسدك؟»

فأثت له والكلمات تنطلق من جوفها في نبرة بشوية التوتر والخرول:

«أسمقة يا توتني لا أقصد أن... أعيند أني ما زلت متوترة الأعصاب».

قال بصورة يتنم بالجمود:

«بالطبع، من الأفضل أن تعود إلى البيت».

استدار وفي قبضته اللجام، ثم امتطى جواده، وقال لها وهو قد يده:

«يحكك أن تحلني أمامي...»

عازلت كولي أن تلمس أطرافه بلورتها المزعقة في قبضة، يدها بينا مدت

يدها الأخرى إلى يد توتني الذي رلعهها غالبا حتى استقرت على ظهر الجواده،

واثقت ذراعها حول وسطها قريبا من بلورتها المزعقة، وحارلت أن تصبح احتجابا

على التالف ذراعها لكن الجواده كان قد انطلق ليحتض سبيله عائدا إلى البيت:

٦ - الحوار القاسي

لم تكن كولي وتوني بهيذان حواراً عشرين باردة عن الرواية الذي يقضي إلى الجدول، حتى لاح جيس وهو يقود الجواد الماربه.

اذن لقد شاعرتة فعلاً على قمة النبل.. ولم تكذب عينها! وكانت عينه ينظر منها الشرر عندما وقعتا على كولي وفي وجهه سخاية غصيب، فأنزلت التدبة التي تشق وجهه. ووقع بصره على بلوزتها الممزقة، فقال لها:

«رأيت توني.. ينفذ في لح البصر، وهذا واضح من بلوزتك».

ولمزلت وأنا أثبتت بالصخرة...
قال جيس بصوت ساخر:

«يا له من مكان مريح».

«جوانك تدرب على أن يلمس في مكانه عندما يكون اللجام مشدوداً إلى وقد في الأرض لأن وضع اللجام على السرج يتيح له فرصة الفرار».

قال توني:

«وكولي... لم تتركبه».

فقاطعه جيس بحدّة، قائلاً:

«كفى...»

وشعرت كولي برقيقها توني يتجمد وهو جالس وراءها على ظهر الجواد، قبل أن يترجل عنه وقد قطب حاجبيه.

سأله جيس:

«هل كانت المضخة دائمة؟»
«أجل... ماذا كنت تفعل؟ هل جئت لتتأكد من قيامي بالهمة؟»
قال جيس وهو يتجاهل سؤاله:

«هل وضعت السلولار فيها؟»

«لا...»
«اذن... اقعب وأفعل ما أمرك به... وأنت يا كولي انزلي وتعالني امتطى جوادك، وأرتدي هذا المعطف...»
قال توني مزحجراً:

«يمكنك أن تلعب أنت، أما أنا فأصحب كولي إلى القرعة».

قال جيس باصبر:

«مستحيل لأمرى».

انزلت كولي عن ظهر الجواد وأخذت المعطف من يد جيس وأرادتته بيديها. فقال توني:

«وانك أنت صاحب اليد العليا في إصدار الأوامر هنا».

قال جيس:

«ولكنني أصدرت لك هذا الأمر».

امتطى توني جواده وهو يرتجف غضباً ولكنّه بهارة بحر الواجب. لكنه قبل أن يرحل، أدار وجهه إلى جيس وقال له بهأس:

«سيأتي اليوم الذي أصدر لك فيه أوامري».

قال جيس بحدّة:

«أنت وأنا نعرف قاماً ماذا سيحدث لهذه القرعة، متجاهلاً أنت إلى بيعها لأول عشر، وهذا ما سوف أمتعه».

أخذ جواد توتني ينهب الأرض بينما استدار جيس برأسه ناظراً الى كولي التي لم تستطع أن تراجعه نظراته القاسية. واضطرت الى ركوب جوادها فقال لها:

«هل تحتاجين الى مساعدة؟»

أجابته وهي تزلج أكرام العطف عالياً حتى تستكن من اعتلاء ظهر الجواد: «انتي أستطيع الركوب».

ودفع جيس جواده الى السير عندما اجبت كولي جوادها بينما راحت تصيح ورايم. وأفكارها تنسأل: «لماذا لم يبط جيس عن التل لمساعدتها؟» كانت تعرف الاجابة مسبقاً. إذ أوضح لها توتني أن جيس يتصرف بيرودي مع بعض الموالف. وهي لا تستطيع أن تفسر ما فعله إزاء ريك. وأقنعت من أفكارها على صوته يقول لها:

«سأطلب من أحد الصبية رعاية جوادك. وأذهب الى المنزل وسنهتم ماغي بأمر يدبك».

نظمت كولي نغموه ياكثاب. قبل أن تترجل. وتلقي بالهدام فوق السور. ونهرع الى البيت. ولم تقابل أعداء في الصلاة. وعلى الفور ارتقت درجات السلم الى طرفتها. وانزعجت العطف وطوقته. ثم خلعت بلوزتها وألقت بها في سلة الملابس المنسقة وارتدت أخرى نظيفة. ولم تشعر بأدنى رغبة في أن تستعيد أمام عينيها ما حدث. إذ كانت تتجمل من التشكير في سلوك جيس وبذلت جهودها لكي تخلف من شأن تصرفاته. ثم وهي في طريقها الى الطابق الأول تركت العطف في غرفة جيس متحركة أن هذا سينظر عليها فحسنة لقائه.

وفي اليوم التالي كانت كولي تطوف بصحبة جوادها عيسى حول المزرعة. عندما برز أمامها فجأة جيس وهو يخطي جواده. كانت مستغرقة في أفكارها حول أحداث الأمس. ولم تلاحظ وجوده أمامها. لحسناً.

وكيف حال يدبك؟

أجابته كولي وهي تنظر اليها بلا وعي:

«جيد».

أمراً عائلاً:

«هيا بنا... منطوق بجولة فوق الجبل».

امتثلت كولي لطلبه وامتطت جوادها وسارت مسطوية الارادة ورايم وهو يتجه نحو المراعي. وأثناء يتسم لها ابتسامة مزوجة وبراءة. ثم بدأ جواده في الركض. وأدركت أنه يتجه بها الى الوادي. وسرعان ما رأت أمامها الجدول. لكن قبل أن يتجها اليه. مال جيس وسار الى اليسار. فخطعت اليه بعصبية. وراحت تصيح الى أن تساقه عن وجهته. لكنها لم تقو على أن تكسر عتة الصمت الذي ران عليها وفي اللحظة التالية راحا يرتفان تلة.

وعندما بلغا لمتها. أوقف جيس جواده وترجل. وأشار الى كولي بأن تترجل بدورها فامتثلت له بلا تردد. ووقفت بلا حراك وبهدوء أجشها على الحشاشي والمانان الى جوادها جالساً قريباً. وابتلعت كولي ريقها. فقد كان عثيها أن تقول شيئاً. وكان هو بدوره يعرف أنها تنسأل لماذا لم يسارع بالأمس الى إقالتها؟ وبالرغم من أن توتني ينهم جيس بالحين إلا أنها ترفض أن توجه اليه هذا الاتهام. مهما كانت الحشيش التي تدينه لهم إقالتها.

سألت جيس بخشونة:

«والآن ما الذي يضاهلك؟»

أجابته:

«لا شيء».

استغربه بقول:

«هناك شيء حدث عندما كنت في سان أنطوان - أليس كذلك؟»

التطقت كولي عوداً من الحشاشي بعصبية. وراحت تلمح بين أصابعها. وشعرت بأصابعه على الاجابة. وتردبت في أن تفضي اليه بالسبب الذي بيعت الهدوء الى نفسه.

وردة فليس

قال لها بصوت يشوبه الحزن والتهديد معاً:

«كولي... أخبريني».

أخيراً قالت:

«اصطحبني تولي إلى المدينة يوم السبت الماضي».

ثم...

تحدثت كولي قبل أن تواصل الحديث:

«ثم أخبرني كيف مات ريك».

وتطلعت إليه لترى وقع كلماتها عليه، فوجدته يدفع برأسه إلى الوراء وكأنه

يفتح من لظمة أصابعه، ثم قتم قاتلاً وهو يرتكز على إحدى مرفقيه:

«لمحت».

تألمعت لتواصل حديثها:

«أنا سأنتقم... لا داعي لأن تحقني الأمور عني... لقد كبرت ولم أعد طفلة».

قال جيس ساخراً:

«إذا كنت قد كبرت حقاً، فلا داعي لأن تواصل تلكم الناس بذلك، والآن وقد

عزمت القصة، فبيل إقلاذك».

هزت كولي كتفها، وقالت:

«لا أعرف ولكن ما أعلمه أن الجيس لا يصل بك إلى أن تكون قاتلاً».

صاح غاضباً:

«لست في حاجة إلى سيلة للدفاع عني».

قالت كولي:

«لا تحاول أن تجعلني أعتقد بأنه كان في وسعك إنقاذ ريك ولم تفعل... اليس

كذلك؟».

وأعصت بأفم من غضبه، تفلزت والفتة، وأردفت تقول:

«لأنه لو كان في وسعك أنفقت للفتة أعرف أنك لست جباناً».

نحس جيس بنوره، ووقف صامعاً إلى حوارها، ومرة لراعيه تحوها وجليها

تحوها حتى استراحت ذقته على جدرانها، ثم قال لها:

«كولي... أعترف لك بأنني حطبة أريد هذه المزرعة لنفسي، أكثر من أي شيء في

هذه الدنيا».

زاد وجيب قلب كولي، فانتزعت نفسها من بين ذراعيه، وهزعت نحو جواردها،

فأمسكته، ولكن جيس أسرع ليسك بالهجوم، فلم تملك إلا أن أطلقت عليه

بنظرائها، بينما كانت دموعها تسيل على وجنتيها.

قال جيس بصوت خافت: «بينما كانت القسوة يابدة على ملامح وجهه

ولمحت لك بأنك ستألمين».

«اسمع يا جيس سادج... إذا كنت لا تحصل الكلام الذي قبل منك، تسي

الأفضل ألا تكون هنا الآن، أما إذا كنت حقاً تريد المزرعة، فأنت تقبل على

نفسك أن تلتزم الأقدام أو تدفع أخاك يموت من أجل أن تحصل عليها».

ولم تستطع كولي أن تواصل حديثها، بل انفجرت الدموع في عينيها،

وانتزعت اللجام من يديه، ولكرت جواردها الذي التدفع بيها للتل، وهي لا ترى

أمامها سوى جدول الماء.

لم تكن تبلغ المنزل، وترفع السرج عن جواردها، حتى وجدت جيس يلق إلى

جواردها صامتاً، بينما حارثت هي أن تتجاهل وجوده، وأخيراً سألته وهي تنظر له

بعده:

«جيس! ماذا تريد؟».

توهجت عيناه، وهو يقول:

«أستأصل... هل غا زالت الأشواك تعلم وورقي الصفراء».

أجابته كولي، بغضب: «وهي تلتقي بالسرج على الأرض».

«أجل... ما زالت باقية».

قال:

«يؤكدك أن تنزعي وحيدك من الآن فصاعداً، ولكن في نطاق المزرعة ولا لتفترس

من قطع الجبال.

واستعداد ليتجه بجواده نحو المراعى، وظلّت ترفله حتى احتفى، وعلى مائدة العشاء، دارت مناقشات حامية بين جيسى و... بن حول نقل قطع من الخاضية بعيداً عن القطع الجنوبي. وأثناء الحديث ألقى جيسى نظره على كولى، وبعيها ابتسامة خافتة سحرتها، ثم أدار وجهه بإتسامته ليتحدث الى الرجل الأشيب الذي يتصدر المائدة قائلاً:

« بن أنا على استعداد لنقل القطع، إذا كان هذا رأيك؟ »

وخلال الحوار الذي كان داراً بين الرجلين، كان يتلقى الى مسج كولى بعض تلك التواثر والظرافات المرحية التي كان يتبادلها ذاتي و توتي... وبعد العشاء رلضي بن أن يشارك الآخرين الجلوس في الشرفة، وأصر على أن لديه كثيراً من الأعمال التي يريد أن يفرغ منها في مكتبه، وبلا شعور جلس كولى الى حوار جيسى، وأخذت تستمع الى ذاتي وهو يستخدم أساليبه ليحمل توتي على أن يأتي معه لاصلاح سيارته.

وفي النهاية انصاع توتي وتبع ذاتي الى اللناء بلا أدنى حامية، ومالت كولى بجسمها على الأريكة وهي تستمع الى جيسى الذي كان يتحدث مع الخاتمة في موضوعها المفضل... ورودها.

قالت الخاتمة:

« كنت أسمع في حديثي مع كولى أنني بصدد إعداد حفل في المدينة متى ازدهرت ورودي. »

وقدابة تردد في القضاء بصوت رنين الخاتمة، فقالت:

« يا إلهي... ترى من يكون المتحدث؟ »

استست كولى وهي ترى خالها تنهض بسرعة من مقعدها لتسرع على المتحدث، ورأت جيسى يشعل سيكارتته، فطقت قدر من ملاحظه فأعجبها وجهه القوي، وكبرياءه، أنه، واستدارة شفتيه الناعمتين وجبينه المتأني، وانحناءه حاجبيه لموي عينييه البراقدين، وقد بدت الندبة الطبيعية على وجهه حتى أصبحت جزءاً

منه فلم تعد تراها قبيحة أو مخيفه، وأسدل الدخان الستار من سيكارتته ستارة نصلت بينها فأدارت كولى غيبتها تأمل الأفق...

بعد جيسى الصمت بأن قال ساخراً:

« ترى قيا تفكر بمرحة الحكمة الآن! أم أنك تخلصت من أفكارك بعد ظهر اليوم؟ » أجابت كولى:

« أنت تعلم أنني كنت على حق، ان أي مشروع يدور بين اثنين يحتاج الى مناقشة وحوار... وهذا ما أثبتته أنت في حوارك مع... بن هذه الليلة، »

« لم يكن حواراً، بل الخلاف في الرأي... »

قالت كولى:

« انه اختلاف كبير. »

سأله:

« وحل تشعرين أنني فعلت الشيء الصحيح بالموافقة على قراره؟ » وأجل، حين الوقت لكي تتوقفا عن التطاحن، وعن أن يحاول أحدهما أن يفوز بالقشة على الآخر. بن رجل مس ومشلول يحتاج الى الشفقة وتوفير أسباب الراحة أكثر من حاجته الى التسيار. »

قال جيسى غامضاً:

« انه متوحش، والمتوحش لا يحتاج الى شفقة... »

اتدلت كولى قائلة:

« حسنًا... الآن هو يحتاج الى الرأفة، ويلدز حثك للمزوجة، يجب أن تترك كم هو مؤلم للرجل أن يكون مقبداً الى ملعد متحرك، وعاجراً عن الخروج وروية ما يدور حوله، أعتقد أنك وجك تتساويان في حب هذه الأرض. »

ترك جيسى الأريكة فجأة، وأستند على سور الشرفة، ثم قال:

« سلاش أسي أرض متوحشة، ومظالم يعيش واحد من أفراد عائلة صادق، لن أقف مكتوف اليدين وأنا أراها تزول الى شخص آخر سأقبل ما في وسعي لأحول دون ذلك. »

ودفعها غصبه العنيف الى أن تقادر الآريكة بشورها، وتقف صاعدة الى جواره
وتضع راحتها على ذراعها. وعندما أحس بلمس يدها نظر إليها، فسأله:
«ألا تعتقد أن من يحس مثلك تجاه الأرض؟»

استدار جيس. يبط وقال لها بصوت خفيض:

«كولي... مهما كنت على حساب في رأيك، ليس لي وسعي بقليل من الكمثرى أن
أزبل بقور الشك وعدم الثقة التي تراكت عبر السنين. هناك العديد من الجراح
التي لا تستطيع قيلة واحدة أن تجعلها تلتئم. إنها تحتاج الى وقت»

ودفعها بقوة تجاه الدراجات التي تزدى الى اللبنة، وأردف يقول:

«الآن استظلمي ماذا يفعل أخوك و ثويي».

وسارت كولي مترددة، وهي تحدق فيه. ورائته يشعل سيكارة أخرى فانتابها
الحساس بالهزيمة وتعمور غريب بالتمام، وكأنها تنوء بحمل ثقيل من متاعيه. ولكن
لماذا يخلق قلبها عالياً وترجيحاً لماذا؟

صمتت كولي. منبات العرق التي علت جبينها، من جراء حرارة شمس
تكسياس الالامعة، ثم راحت تقلم حمادة قطعة من التفاح، منعته الحرارة من أن
تضي لشرة بعد الظهور في ممارسة رياضة ركوب الخيل قربت على رأس الجواد،
وتركته، وتودد صوت وقع حذائهما على الأرض وهي تسير وراحت تنظف حرقا،
لعلها ترى جيس. لهذا الوقت هو موعد عودته. كان لم تركها في الصباح بعد
الحديث التي تبادلوا في الشرفة، فيظل المائتية بعيداً عن القطيع المتوسى كل
شيء تراه يلا معنى بدون وجوده وفي مثل هذا الجو الحار لا تستطيع أن تعلق
شيئاً ففكرت أن تلي بلمسها في حوض السباحة، لكنها لم تدرك الفكرة سريعاً

سارت بلا هدف حتى وصلت الى الحظيرة، واعتلت السور فتصاعدت تورا
جاءها محبوب الحلبة لا بد أنه سائق الذي قتل ريك. وترك ندية على وجهه
جيس، فأحست بجفاف في حلقها وهي تهصل فيه، وانتهابها الفزع وهي فراء بذلك

الأرض يعواقه في غضب عجيبة

وتسالت كولي: هل هذا الشعور الذي أحست به الآن هو الشعور نفسه الذي
انتاب جيس؟ هل هذا الشعور هو الشعور الذي شل تفكيره منته من الحركة؟
هل اشاعت نظرات الثور البرودة في أوصال جيس فنام مغناطيسياً ولم يلتفت
إلا على صرخات ريك؟

تقلصت أصابع كولي على السور وتلاحقت أنفاسها، وهي تشاهد نظرات
الثور تنفث رعباً وكشفت حركاته عن نية الوثوب عليها. وفي اللحظة التالية
ألفت نفسها بعيداً عن السور وهي تطلق صرخة خوف، وإذا برأسها يصطدم
بصدر صلب يرتدي قصباً من القطن، وشعرت أنها امتلأت وباطة جأشها

عندما شمت رائحة دخان مألوفة، وهي تلك التي تنبعث من أنفاس جيس
وزايلها الحرق عندما أحست به بجوارها بين ذراعيه. إنها الآن آمنة وشعرت به
يعتصرها في صدره، يضمها اليه، ويضيق وجهه في رأسها، وحاولت أن تتخلص
من ذراعيه يرقق، وأن تلتصق بأصابعها مرتاحة على صدره، وعندما نظمت الى
عينيه، رأت الفلق بادياً فيها، فمالته نحوه لانية كأنها تريد أن تكون في كتفه،
وهمت قائلة:

«كنت خائفة، فلم أستطع الحركة».

قال لها بخشونة، وهو يمزج كتفها،

«قلت لك من قبل ألا تأتي الى هنا، هل تفهمين؟»

قالت بضعف وهي تمس بالرفقة تسري في نظراتها:

«أجل، أنتي سعيدة بموتك».

أمرها بحزم قائلاً:

«الذهبي الى المنزل...»

امتثلت لأمره، وبدأت تسير في خطوات بطيئة نحو المنزل، لكنها أدارت
رأسها وسأله:

«هذا الثور... هل هو سائق؟»

ولم يفلتوا جيس بكلمة. لكنه نظر إليها نظرة باردة، وانتهى إلى الخطيرة.
وكانت كولي تشير أن كل خطوة تقطعها نحو المنزل تزيد من اتساع المسافة
بينها وبين جيس، وأضمت لبلة نفسة بالرقم من محاولات «أنا» و «توني»
للترويج عنها. لكنها لم تحاول أن تقضي لأختها بما حدث عندما جاء لزيارتها في
غرفتها.

وأضمت الأيام الثلاثة التالية في شقاء تام لأنها أصبحت تعيش سجنية
جدول المنزل. لمراعاة جيس... وكانت تفرق نفسها في مساعدة خالتها ودأب هو
على أن يتجاهلها أثناء وجبة العشاء ويغلق غلراً للذهاب. وأحست أن الكيل
طليح بها في رابع ليلة. عندما استأفن وغادر غرفة الطعام بدون أن تعرف وجهته
ورافقت خالتها والعم بن إلى الشقة وراحت تراقب بقلبي العاصفة التي تروء
صداعاً في الأذن.

ثلاث الحانة:

«يبدو أن عاصفة صيفية سوف تهب علينا قبل شروق شمس الصباح. أرجو ألا
تكون عاصفة عاتية. فالعاصفة السالبة تقتل على ورودي. لكن ما بالك طفلة
الليلة يا كولين. هل هناك أمر يسبب لك التضيق؟»

أجاب كولي بسرعة:

«كلا يا خالتي أفكر في التوجه إلى غرني لأخذ حمام دافئ». وأنام مبكراً واعتقد
أن أعصابي متوترة من العاصفة.»

لكن هذا التوضيح قبولاً لدى الحانة. تسارعت كولي إلى غرفتها خوفاً من
طرح مزيد من الأسئلة. فلا تجد لها جواباً. وبعد الاستحمام. ألقت بنفسها على
الفرش وسحبت الأغطية فوقها. ثم راحت تتخفق في السنبلة.

أضادت شعلة البرق صفحة السماء. ثم تبعها الرعد فأيلظ كولي من نومها
العصيق. وأحست ينيخ قلبها يندق دقات محمومة. فاسترت جالساً في الفراش.
وأخذت تتروى أن يفلأش آخر صوت تشدق الرعد. لكن السماء أيرقت ثانية.

فأسرعت تقطي أذنها براحتها حتى تنتهي موجة الرعد وتعتدع هدأت
الأصوات زحلت من فراشها. وارتدت الروب. ولماثرت شرفة نومها. فواجهت
ظلاماً دامساً يكتو الطريق الذي يقضي إلى درجات السلم. فبحثت عن ملتحاح
النور. لكن أصابعها توقفت عن البحث حتى لا توقظ الآخرين. فأسكت
بالبرايزين. وراحت تهبط الدرجات على ضوء وميض البرق الذي كان يبدد
الظلام. ووصلت أخيراً إلى الصالة فسارت على أطراف أصابعها وسعت الساعة
لنق معلنة الواحدة. فأفزعتها الدقة التي لم تكن تتوقعها. وتعثرت في للفضة
وسط الصالة. وأطاحت بهذا الزهرية التي تهشت على الأرض وبدد صوت
لحطها سكون المكان.

وتنحى إلى سمعها صوت أجش صادر من المكتبة. يسأل:

«من هناك؟ هل خلا أنت يا خالتي؟»

وسمعت كولي سزال العم بن وهو يدفع مقعده المتحرك على ضوء
البطارية التي يحملها. قرست على شفتها ابتسامة قبل أن تستدير لمواجهة.
وتقول له بصوت هامس:

«أنا كولي يا عمي. تعثرت في الزهرية.»

سأخا يخشونة:

«سألا كنت تفعلين؟»

وراحت كولي. فجمع يديها الزهرية المحطمة وهي تتول:

«العاصفة أيلظتني.»

قال بن ساخراً:

«هل أفرزتك أصوات الرعد؟ ألا تستظعين النوم بتقودك؟»

وعاد الرجل المسن الأشيب إلى غرفته وراح يخلق التوالد ويسدل الستائر
حتى يحول دون بلوغ أصوات الرعد إلى الغرفة. ثم دفع مقعده المتحرك نحو
المكتب ووضع قوته البطارية. وأشعل شمعتين.

قال لها وهو يحتق في وجهها الذي كساه الشحوب:

«التيار الكهربائي مقطوع. اجلسي يا فتاتي واسترخي. ودعينا نتبادل الحديث حتى يتوقف صوت الزمير».

جلست كولي على أحد المقاعد الوثيرة. ولم تشعر بالاسترخاء ما دام الرعد لا يزال يندوي في الخارج. وراحت تنظف إلى وجه الكهل الجالس أمامها. وأخيراً قال:

«زوجتي - زوجها الله - اعتادت أن تنقل من نافذة إلى أخرى طوال فترة الرعد. ولذلك تريم أنني معتاد على أن أخفف من الفزع الذي يعتري القنبيات أثناء العاصفة».

قالت كولي:

«أنت تشفق وجوهنا».

تهدأ بن وفاد:

«أجل، دخلت عني منذ عشر سنوات، مائت بعد زمن قصير من مضرع أبنائنا الوحيد وزوجته في حادث اصطدام. وكان زوج الخالة قد توفي في عام سابق. لذلك انتقلت لتعيش هنا. ومنذ ذلك الوقت لم يعد المكان لسابق عهده. إنه لأمر غريب أن تعيد أصوات الرعد العتيقة هذه الذكريات».

صمت قليلاً، ثم قطع درجاً في مكتبه. وأخرج صورة داخل إطار مذهّب. ولس الوجه يشغف قبل أن يتلوها إياه. ثم أوقف يقول بصوت وقور:

«نينا زوجتي. التقطت هذا الصورة قبل ولادتها بشهور قليلة».

وكانت الصورة عائلية تنوسطها سيدة على شفتيها ابتسامة. ولها عنق تعيل. يجمل رأساً شاهقاً يحتر عن الكبرياء والاعتزاز. وكانت عيناها تلمسان بقول من الحياة: تسلك بيد زوجها بن سادج.

كان شعره حنطة أسود. ثم رأت شخصين على جانبي الصورة عرفت أنها بسهولة كان جيس الذي كان يطلع بعبور دافئة. أصغر عمراً ولا أثر للبدية على وجهه. أما الشخص الآخر فكان ريك. يتألق وجهه بصحوة صبيانية. وقد غرقته من التشابه بينه وبين أخيه جيس. وإن كان أرق منه. وأدركت من خلال

ذلك سر الجاذبية التي كان يفتنح بها. وبعدما تأملت كولي الصورة أعادتها إلى بين أحسابها وراح يمين النظر فيها قبل أن يضعها على المكتب. وأخيراً قال بحتان:

«واللهي تأتي دائماً ثلاثية. فقدت حبيدي منذ خمسة أعوام مضت».

تتمت كولي. ثالثة:

«أعرف ذلك».

نظر إليها بن بحدة. وبدأ عقله كأنه يبدؤ ذكرياته. وركز تفكيره عليها. فالتفتها الفلق لتفكره. فاستطردت تقول:

«نوني أخيرتي بكل شيء».

«مما قال لك».

ثالث يتعظم وهي تعبت يحزام ثوبها:

«والله... انعم. قال لي أن أظن بعينة عن الموضوع».

سأفها بن:

«هل هذا كل ما قاله لك».

أجابته:

«ولكن يا عسي، كان الأمر مجرد حادثة - أنا متأكدة أنه كان حادثه».

وراح يشحصها بنظرانه الحادة. وقال:

«كل منكها أصبح شيئاً رهيباً لي الآونة الأخيرة... أنت».

قاطعتها كولي: «وكانها لا ترغب في أن تنهي عبارته».

«يا طيع لا... حسناً. رأيت النور سائبان امس وفزعته منه لدرجة أنني لم أستطع أن أتحرك. أو حتى أمشي على الركض أو الصراخ. لم أتمكن من فعل أي شيء. جاء جيس وحذني بعيداً قبل أن يهاجمني النور. هل تعلم أن جيس أعتني؟»

«ولكن كم من الوقت ظل واقفاً هناك وهو مغربوع مثلك؟ وما النور الذي قام به

عندما حدثت لك هذه الحادثة في يدك وأنت تنظرون بالصخرة منذ عدة أيام؟
شعب وجه كولي عندما سمعت كلامه، فلهز بن رأسه وكأنه ينهي
دفاعها عن جيس ثم استطرد بقول:

«العاصفة سكنت تماماً. ويحسن بك أن تتوجهي الآن إلى قرائك»
وعندئذ حاولت كولي أن تتكلم، لكنه أشار لها بيده أن تعنت ثم واصل
حديثه قائلاً:

«رؤسكي يتصبحة جيس: كوني بعيدة عن الموضوع، أنا أصبحت سناً. أما هو
فإنه كالنهد الذي لا يستطيع تغيير جلده. اذهبي إلى قرائك».

وأعنت كولي أنها فشلت في كسب ود جيس والعم من وحلقت
البطارية لتسير في حشوتها، وارتقت الدرجات على أطراف أصابعها وما كادت
تبلغ باب غرفتها حتى سمعت صوت باب الغرفة المجاورة يلتصق، فصارعت
بتوجيه الضوء إلى وجه القادم. وكان جيس الذي سأله:

«ماذا تعلمين؟»

«سمعت كولي قائلة:

«انقطع تيار الكهرباء».

قال يرفقه:

«أعرف ذلك، أعني ماذا كنت تعلمين؟»

«أيقظني صوت الرعد».

قال جيس:

«تساءلت إذا كان في رصعته اليوم وسط الرعد: أين كنت عند الحظوظ؟»

أجابت كولي بتردد:

«على الطابق الارضي. كان العم من مستيقظاً أيضاً. وقد تبادلنا الحديث معه».

«هل تظن أن العاصفة انتهت الآن؟»

«لمحت كولي سؤالها قبل أن يجاوبها جيس بأستناده، ونجحت في
محاولة أن أخبرها أن العاصفة انتهت فعلاً. وتناول البطارية من يدها وادفعها إلى

غرفتها، ولأول مرة لاحظت أنه عاري الصدر، فأخذ قلبها يتحقق بعنف وهي
تأمل الشعر الأسود الذي يكسو صدره. تناولها الطائر يشوكل لها وهو ينشأ
الفرقة:

«طابت ليلتك...»

وأغلق الباب... هي في داخل غرفتها... وهو في الخارج؟

٧ - الوردة الصفراء

راحت كولي تنحس بأصابعها خاتمة أوراق الوردة الحمراء، فتسمرت بتعومنها وتذكرت تعليق جيسون حين قال: «أيتها الوردة الصفراء» حدث ذلك منذ زمن بعيد. أما الآن فهو يعاملها معاملة أخرى، ويحتفظ حتى المعاملة الأخيرة للنفقة أحياناً. وتهدت بعض عندما تذكرت أنه منذ أسبوع مضى، وفي تلك الليلة التي أرعدت فيها السماء، وصلت علاقتها إلى طريق مسدود. إنه امر متبط للفرقة، مخيب للأمل. كانت في الماضي يتعمان بالصعوبة سرياً. وكان هذا برصها، فعل الأقل كل مهناً بها. أما الآن فانه يزيث على رأسها، ويقول لها: «إنظلي مثلياً تنظلي الطفلة الصفراء» وقد انتابها الغضب عندما فكرت أنه يعاملها كالطفلة. ونفت لمضيها في ساق الوردة المليئة بالأنسوك فانقرزت اهداها في أصبعها. أطلقت صرخة للفت انتباه الخالة التي أدارت رأسها في اللحظة وكانت كولي تقص أصبعها.

قالت الخالة:

«كولي... أخبرتكم مراراً بأن تحترمي من الأسئلة، فهي مؤلمة»

وتاولت الخالة الورود من يدي كولي ووضعتها في سلة، قبل أن تنتقل إلى مجموعة أخرى من التشجيرات، ثم استظرت تقول:

«من الصعب أن تنمو الزهور في الأرض القريبة الجنوبية بسبب حرارة الشمس، هل تعرفين ذلك يا كولين؟ إذا أردت رؤية الورود حقاً، أغني ملايين الورود»

عليك أن تقضي إلى تايلر في تكساس، قل أكثر من نصف الأرض مزروعة بالورود في تايلر، وتاجر ليها منذ عام ١٨٧٠. ويروي الناس حكاية تقول: إن الوردة تظل متفتحة إذا كان النطق مختزلاً في تربتها»

وأطلقت الخالة ضحكة على هذه القصة ثم أردفت تقول:

«هناك أكثر من خمسين نوع من الورود، وتتميز بالألوان المتعددة، لكن لا يمكن التمييز بينها إذا كانت تنسج في عوص النطق. وقد راقت جورج إلى حديقة تايلر عدة مرات. انها تجربة لا يمكن تمييزها»

هزت كولي رأسها وهي غالبة عن الواس. فلم يكن في وسعها أن تبدي أي حاسة لزيارة تايلر فهي مشدودة إلى مشكلتها مع جيس، وليس لديها مساحة من الوقت للاهتمام بأمر الورود. أن كيريا ذلك العجوز سالف قد دمر كل شيء.

وثابت إلى رشدها، عندما سمعت خالتها تسأل:

«أنت سامعة يا كولي، هل هناك شيء يورثك»

قالت كولي:

«أوه... إنه العداء الغريب بين جيس والعم بن»

زوت الخالة ما بين حاجبيها، فلم تكن تتوقع أن تطرق كولي الموضوع وقالت:

«والعداء ليس غريباً، وإنما هناك أمر آخر»

قالت كولي بحدة:

«ولكن جيس حفيد العم بن ولا يمكن أن يدع أخاه يموت»

«الحرف يجعل الناس بأنون أموراً غريبة يا كولين. فعند بعض الناس برداء الأكرينالين إلى درجة تدفعهم إلى القيام بأمر تفوق فزتهم الطبيعية ويتحول بعضهم الآخر إلى صخور صماء. وهكذا في بعض الحالات نصلق لهم. وفي بعض الحالات الأخرى نديتهم»

قالت كولي:

«لا أعظم أن جيس شخص جبان، فضلاً عن أنني لا أتصور أن يكون غائلاً»

قالت الحالة بهيوة وهي تحمل في بطنها برعاً:

«لا يمكن لأحد أن يحكم على أحسنك الداخلي يا كولين سوى الله. أما المظهر الخارجي فيمكن للرجل أن يحسن حكمه عليه. وقد صدر الحكم في وفاة ريك بأنه الموت قضاء وقدر».

«لكن... لماذا يصبر العم بن على مواصلة عذاب جيس. وكأنه قتل أخاه بيده».

قالت الحالة خبيلي:

«لا لدومي التفكير في الموضوع بهذه الصورة...»

«ولكنني لا أستطيع أن أتصور وجود شخصين أكن هما كل حين...»

وترقت عن مواصلة الحديث، إذ تضرعت وجثاها بلون الدم عندما وجدت خالتها تعن النظر فيها. وتقول لها:

«اسمعي يا طفلي... يجب عليك عدم التورط مع جيس...»

فأطعتها كولي بغضب. ثم ابتلعت بهراً قائلة:

«لست طفلة... أنا في التاسعة عشرة من عمري وعلى مشارف العشرين. لست طفلة».

خيمت اكتسبت على الحالة عند سماعها هذه الكلمات وانصدمت في وردها. كأنها تتأمل مضروب عياره كولي التي وقعت إلى جوار خالتها صامتة أيضاً. وودت لو أن غضبها لم يذهبها إلى التفرقة مثل هذه الكلمات. كانت ترغب ألا يخرج خالتها لكنها ضللت ذراعاً بالجميع الذين دأبوا على أن يفلتوا من شأها...

قالت لها الحالة:

«ما زلت حذاً حتى أن نقيم ذلك الحفل الذي حدثت عنه. حيث يمكنك الالتقاء بالثديين ومشاركته مختلف نشاطاتهم».

حدثت كولي نفسها قائلة: وسوف لا تنجح لي أي فرصة للتفكير في جيس. مسكينة الحالة أنها تحاول إشاعة الهجبة في نفس كولي. ولقد حاولت

كولي بدورها أن توافقها في سرور بالغ على فكرتها

راحت كولي تتطلع إلى المرأة. وأخذت تفكر في حالتها. إنها تتحس حساً بالغاً عندما يأخذ على عاتقها تنفيذ أي قرار فهي عسر ذلك اليوم الذي أشارت فيه إلى الحفل. بدأت في دعوة عائلات المنطقة. ولم تكن تعرف أن حالتها تستطيع أن تنظم هذا الحفل خلال يومين. إن أشرقت بنفها على الملوى والطعام. كما أبدت للراند في الهدية وكذلك الأصدقاء بمساعدة داني وترني. وتوجهت إلى المدينة لشراء مكملات الزينة التي سترتبها كولي في الحفل. وثلة الحفل. تأملت كولي نفسها في المرآة. كان شعرها في تصفيفة رائعة. وثوبها الأصفر جميلاً. وسمعت أبواب سيارات المدعوين تفتح وتغلق أمام المنزل. وقتت في اللحظة نفسها أن يكون داني في غرقته حتى تستطيع أن ترافقه إلى الطابق الأسفل. ولم يعد الآن لديها أي شعور بالقلق عند مواجهة البريء. ابتسمت عند مغادرة الغرفة وهي تتسنى أن يحضر جيس. فسيراها هذه الليلة في ثوبها التيلون الأصفر... امرأة كاملة الأثرية.

أخذت كولي لتهاذي في خطواتها في الثمر. عندما سمعت خالتها تقول وأخيراً... وصلت يا عزيزي كولين أنت جميلة الليلة. أبليل... أقدم لك ابنة اختي. لي الحقيقة ابنة اختي. ولكن لا تحاول مناقشة موضوع السن الآن».

وصحكت الحالة وهي تسحب كولين من ذراعها. وتوجه إلى ركن من الناس يحضر أقبال ميريك وزوجها يربوب وابنتها راشيل ور وبنا. حيث كولين الفتاتين بلباس من رأسها. وبدأت وفود المدعوين تصل تباعاً. وتاه عقل كولين في بحر الوجوه والأسماء. تحولت إلى أسرة هاملتون وأنها هيوارد وابنتها برندا وأسرة راسورين وألفالفا الحفس جيم. جرو جاتيت. جود. جيني. ثم عائلات بيرسون. و سيبسون. و جونسون... و ماسون... وأخيراً تولف عطفها عن متابعة الأسماء. كما عندما لما فتاة ذات شعر أسود. ومقتت كولي نظرة غريبة وقحة. وعندما دق الجرس يدعو المدعوين إلى العشاء. ولص نوتني ذراع كولي بخفة. وقال لها:

«سأحضر لك طبقاً».

وكان ثلاثة من الصبية على مقربة منها، فلبس صبي آخر يقول:
«كلاماً أنا الذي سأحضر لك العليق».

وتذكرت كولي أنه أحد أبناء راسموس، وفي هذه اللحظة أليقت الفتاة ذات
شعر أحمر تقول له:

«لا... أنت ستحضر لي طيلي أنا يا جون راسموس».

أجاب جون:

«بالطبع، ولكنني أستطيع أن أحمل طيلين».

قالت الفتاة:

«هل ثلاثة أطباء... هل تسيب نفسك؟»

وسار الصبية الثلاثة نحو المائدة وهم يتجادلون حول من منهم سيحمل طبق

كولي وأطلقت الفتاة ذات الشعر الأحمر الـ كولي قائله

«أرجوك... أتعني عن جون، بذلت جهداً كبيراً لكي يعتقد كل إنسان أنه
سيقترب بي».

وشرعت كولي تقول:

«أرجو ألا أفعل شيئاً...»

وعندما لاحظتها الفتاة قائله:

«كل الشباب يمشون بكل فتاة جديدة تأتي إلى هنا، وخاصة إذا كانت رائعة

واقرة أئبن مثلك على فكرة... أسمى جيل سوننوي».

قالت كولي وهي تصالحها:

«أسمى كولي، فكلاماً يناديني أصدقائي».

وفي هذه اللحظة، مرت الفتاة ذات الشعر الأسود التي ومقت كولي بنظرة

غريبة، وتطلعت إلى اللطائف يبرود، ولم تستطع كولي أن قلبي دهشها.

فأثقت جيل:

«من تكون هذه الفتاة؟»

«أيتها ثانيا فورده، لا أعرف سبب يجهلها إلى هنا، فلا يوجد أحد هنا ينادي سبها»

الأول: «هأنذا أعود ثانية... وأترك لسانتي يخلت بالكلام...»

وصفت جيل ولكنها رأت نظرات التساؤل في عيني كولي فأضافت

تقول:

«من المحتمل أنك لا تعرفين... كانت تتواعد بانتظام مع حيرون قبل الحادث.

هذا على الأقل ما ترجمه الضالعات، وقد سمعت أنها تركته، عندما بدأت الفصحى

تنتشر، لكنني في الحقيقة... أوه أنيل القصاب... تعالي يا كولي وانضمي إلى

يجلسنا...»

وافقت كولي وسارت نحو المائدة، لكن عقلها كان في سباق مع نفسها لكي

تتم عبارة جيل لا يوجد أحد هنا ينادي سبها إلا جيس...»

اعتادت أن تغلبه لكنها توقفت عن مفادته. وربما جئت لتعيد المياه إلى

جهرتها ثانية... وعندما وصل تفكيرها إلى هذا الحد، أحست بقلبي يقوص إلى

الأعماق. وشعرت بالسعادة لوجود الطعم، لأنه سيضللها عن الحريش، ولكنها

وجدت أن الطعم يلف في حلقها، ومع ذلك رأت أن ذلك أفضل من أن يتم

موتها من شاعرها التي أضلرت لسباع حديث جيل.

بدأت كولي تتفقد التوجيه التي وقعت حول المائدة، وفتت في تلك اللحظة

أن يأتي جيس، لكنها خرجت بوجوه حالسا على بعد عدة مائة منها، كان

متجهها، وكان وجهه كان موجهاً إليها، ومع ذلك عز رأسه، وأبسم لها بعد لحظة

وتظاهر بأنه لوجي، برؤيتها فالتصت له بخورها، قيل أن تعود لمواصلة الحديث

مع رفيقها

وبعد أن انتهى المصع من تناول الطعام، التفتوا في جماعات ولاحظت

كولي أن أفعالاً يتحدث إلى فتاة هائلة ذات شعر بني طويل وأفترج أعدهم

الولص، نظام تروبي بالتوجه إلى المنزل لاحتصار الأسطوانات، وفي ذلك الوقت

قالت جيل لكولي:

«ما رأيك في أن توجه إلى المنزل لتجديد نشاطنا أثناء الهالك الشباب في نقل

القوائد جانيا»

واقفت كولي على اقتراح جيل التي اتهمت في الحديث مع بعض الفتيات، وسرن جميعاً الى المنزل. وقبلاً شعرت كولي برغبة في الانفراد بنفسها. وعندما بلغن المنزل، اقترعت كولي أن أخر الشفاء الخاص بها قد تسببه في غرفتها، واستأذنت احضاره، وارتقت درجات السلم سريعاً، بينما توجهت الفتيات الى غرفة نوم الخالة التي أعدها لتصلح مكاناً تجدها فيها المدعوته جالتي، وعندما وصلت كولي الى غرفتها، وضعت لمسات من الأحمر على شفتيها، لم سارت بترائح نحر النافذة، لتجد في وجوه المدعوين.

وقبلاً انجذب بصرها الى الحيلة الموجودة في المديفة اذ رأته جيس والفا هناك وفي يدهي الأمر ظنت انه يقف وحده، ولكنها رأت شيئاً آخر يخرج من تحت الحيلة، وكان الفلام حالكاً فلم تستطع أن تحده شخصيته، وان كانت معالم القوام توحى بأنه لواحدة من الجنس اللطيف، وأدركت بمرئيتها لابد أن تكون ثانياً فورد. وعندئذ أحست بأنم يقتصر معدتها وهي تساعد الفتاة تسير بالحذاء الى جوار جيس.

وعندما بلغت ذراعه حول وسط غائبا وانحرفت كولي مبتعدة سريعاً عن النافذة، وارتجفت شفتاه. وتلاحقت زفرائها، ولم تستطع أن تعود على الفور الى الخلل. لكنها تذكرت أن الفتيات ينظرون لدومها، ولم تنتظر طويلاً إذ قررت لجة أن تهبط الدرجات، وذهبت قليلاً عندما بلغت غرفة الخالة وسعدت ضحككات الفتيات تتردد عالياً. وكانت على وشك أن تدلف الى الغرفة عندما طرق سمعها اسم جيسون يتردد على لسان إحدى الفتيات الموجودات في الداخل، فتوقفت تستمع.

قالت الفتاة:

«أعتقد أنه أتى... لا أعتقد أتى المظهر والمهنة بمرحلة نافذة...»

وصاحت أخرى تقول:

«ولكن جازأبك في النقية الموجودة على وجهه؟»

قالت الفتاة بتفاخر:

«إنها تغطي إحساساً بأنه طويحي الفطرة.»

قالت الفتاة أخرى:

«أنا أعرب منه. وخاصة بعد أن اتهمه الجميع بقتل أخيه... انه يعيش الآن في

معزل عن الناس. نظراته تجعلني أعجب في مكاني.»

قالت الفتاة الأولى:

«أظن أنه شخص مشرب... وخطير أيضاً.»

قاملتهم جيل نافذة:

«صباحاً بالفتيات. كولي ستأتي في أي لحظة... وستسمع حديثكم.»

وعندئذ ابتعدت كولي عن الباب مدفكة ان ثانيا ليست الفتاة الوحيدة

التي تجد جيس جذاباً. وراحت تحترق المرات متجهة الى مكان غير مضي..»

ووقفت تحت شجرة بلوط ونجاة سمعت صوت جيس الشاغر يأتي عبر الظلام

اللامس، قائلاً:

«هل أنت في طريقك الى موعد غرام؟»

أجبت كولي بصوته وقالت:

«والطبع لا... على الأقل ليس الطريق الذي تقصده.»

وسعدت ذكاته عليها لتلاحق بسرعة عندما لحق بها، واستطردت لتقول:

«وأنتك من نافذة غرقتي. كنت واقفاً عند الحيلة...»

قال مزيداً كلامها:

«أجل، وأنت هل كنت تستمعين بصحبة طيبة؟»

«أجل، بما أنني الجميع معاملة طيبة، ولا أحس أنني غريبة عنهم.»

بقي جيس لفترة في صمت مطبق قبل أن يقول:

«أنا سعيد من أنك. الخالة ستطلع عني لأنني سرت احدى وروعه.»

وتنصعت كولي الى الأمام حتى بلغت دائرة الضوء المحيط خلال فروع

الأغصان، وأثنى بشوره على الوردة. وكانت وردة شديدة الأصفر في أوج لفتتها

قال بملء:

هست كولي قائلة:

«أنا جميلة يا جيس...»

وحاولت أن تزيل صورة... ثانياً من ذهنها لكنها لم تنجح. يقدم إليها وردة حمراء. كما يفعل معها الآن. ورائته ينبت الورد في البونس الذي يزين صدرها. وعندما انتهى. انبسم لها ثم شرع يشعل سيجارته. وبعد أن أطلق الدخان قال: «بينو أنك استبعت بوقت طيب. حتى أنه لم يخطر ببالك أنني سأكون هنا. لا بد أنك محاطة بمجموعة كبيرة من المعجبين.»

رفعت كولي حاجبها دحشة. وقالت له بسخريّة:

«وانت أيضاً كنت محط أنظار العديد من المعجبين. سمعت مصداقته إحدى الفتيات قبل يمضي إل هنا...» أنها تعتقد أنك كنت شيئاً هاماً.»

قال جيس:

«حقاً»

قالت باستخفاف:

«أجل. حقاً. دعني أقول لك كيف كانت عبارتها... أوه... أجل... قالت أنه يستمتع برحلة قافلة... وطبيعي اللطيفة... كما أنه شخص متبرع ومخلص.»

قال ضاحكاً:

«المفروض أن يكون كل إنسان محط إعجاب شخص ما. وأنا أكره أن - تعتبرني شخصاً منفراً. وأن كنت أعرف مسبقاً أنك تكذب في هذا الشعور.»

وقبل أن تفلطح كولي حديثه أسرع يقول لها:

«أعتقد أن الرقص بدأ. وأنا متأكد أن هناك بعض الشباب يتحينون الفرصة ليطلقوا عليك مشاركتهم الرقص.»

نظمت إليها جيس فرأى علامة قاضية على وجهها. فانبسم وقال بدم:

«لا تخفشي... أعرف... أنت لا تستطيعين الرقص. أليس كذلك؟ تريدني مني أن أعلبك! ما تترك لو أخبرتاك بأنني لا أعرف الرقص أيضاً.»

صاحت كولي:

«أوه. انتك تستطيع الرقص يا جيس. والا فمن سينزل تعليمي! أنا أطلب منك أن تعلمني.»

ومرت بها لحظة سادها توتر خفيف. بينما راحت كولي تنتظر اجابته. وتحرك جيس قليلاً. فسقط جسمه على وجهه المضطرب. وبرزت الندبة جلية واضحة.

وأخيراً قال بسخريّة:

«الأفضل أن تعلمني من توني. أن يقوم بتعليمك.»

لم تنفقه كولي بكلمة. وانما وقفت أمامه وعيناها تتوسلان إليه ألا يرفض طلبها ثم قالت له:

«أخبرني كيف أرقص.»

وروضعت يدها اليسرى على كتفه. واخترت منه. وبلا شعور التفت فرائحه اليمنى حول وسطها. بينما أمسكت يده اليسرى بيدها الأخرى. كانت خطواته بسيطة وسهلة. ويبدو لوق ظهرها ترشدها إلى حركات خطواتها حتى شعرت كولي في

النهاية أنها تطير بين ذراعيه. وعندما تولفت عن التركيز في حركة خطواتها. وأسدت رأسها على صدره. تدريجي ثلاث المسافة التي تفصل بينهما. ولم

تعتصم في ال أنغام الموسيقى. لأن دقات قلبها للتلاحق حالت دون وصول

الأحسان إلى أذنيها في حين الإذاء احتكاك دمه بشعرها. كما تصاعدت حاسة فرائحه نحوها. ثم توقفت خطواته لحظة. فرفعت رأسها متسائلة. فلما جيس يحزم:

«لا أعلن أنك في حاجة إلى مزيد من البروس.»

أرادت كولي أن تعرض عندما أمسكت يدها بكتفها ليتحرك بها بعيداً. ولكن أشواك الورد المثبتة على صدرها. تعلقت بسترته وحالت دون الفراق. كما

أنبت لها القرمصة لكي تفرس رأسه. لمزات شعره الأسود متألفة في القسوة وحاجبيه مفوسخين فوق وموش لمرة السوداء التي استراحت فوق وجنتيه. وألقه

أشبه بأفق النسر. يلقى بظله على وجهه. وكشف انساع طاقتي أنه عن عدم سيطرته على عواطفه. بينما برزت شفتاه باستدارة رقيقة. كلها وجولة ورغبة.

ولمحت كولي بطرف عينيها أن الوردة لم تعد مثبتكة بسترته، ورأت جيس يرفع رأسه، ويفتح فيه للحديث، ولكن الكلمات توفقت على شفتيه عندما أطل بعصره عليها ورأها تنظف إليه. والتفت عيناها بعينيه، ووجدت يديها ترتعشان على صدره، ثم تلتفتان حول عنقه، وهي تقترب من وجهه. وأجبت به بجذبا لغيره. ورأسه يميل ليشتفي برأسها. كانت مترددة في بلوى الأمر، ولكنها استسلمت لغيرتها. وأجبت بتشعيرة تسري في جسدها. وبعد لحظة ابتعد عنها جيس، لكنه عاد ثانية وقد أثارتها استجابتها له... ثم دفعها عنه بعيداً وقد أخذت ذراعاه. تسريان، وأن كانت قبضته مازالت متصلة.

تظلمت كولي إليه، وقد اتعمكت تشوتها على عينيها، أنها لمبه ولا بد أنها كانت تحبه طوال الفترة الماضية، وهذا سبب نفقتها به. لماذا كانت تمة كلسة تشفيها، بينما أخرى تسدها؟ أنها لأشك تحبه.

زوي مايجن، حاجبيه وهو يتنظف إليها وتجاه صاح قائلاً:
«كفكف»

ولكن كولي ظلت واقفة... بعيدة عنه. وإن كانت النار التي أشعلها فيها مازالت متأججة في عينيها. فتعزل عنها وهو يتوسل إليها ألا تطيل النظر إليه. وأشعل سيكارة، وراح ينفث دخانها، ثم راح ينفث في الظلام الدامس. ويقول لها يغضب:

«اللعة»

ولكن كولي جئت فقل:

«جيس... أنا...»

فأطعها بصوت حاد ومرير:

«لا تخزي شيتا، المعنى والنسبي إلى الخلل»

«ولأر بد أن أقف...»

«رجسي نسيت أنك لست من النوع الذي أبحث عنه...»

استشقت كولي أنفاسها بصعوبة عندما سمعت هذه الكلمات القاسية

التي أدمت قلبها، وملاً الآثم صمحة وجهها، قبل أن تقول له بحدة:
«هذا صحيح... أنت تحب الفتاة التي تمنحك كل شيء مثل ثانياها»
قال مؤكداً كلامها:

«أجل مثل ثانيا... أنت تعرفين الآن كيف ترتصين»

قالت برارة:

«لأحاجة بي إلى الرقص»

«ربما تبحثين عن صفة شخص له اسم مشين مثلي فضلاً عن اتهامه بالارتكاب جريمة شنعاء، أو ربما تراودك الرغبة في شخص لطيف...»

وصمت قليلاً ثم استطرده بقول:

«أخبريني بأمر الحديث الذي استرقت السمع إليه... لم تقولي لماذا قالوا عن أخي؟ هل أشاروا إلى وقتها؟»

أجابت وهي تخفي وجهها في راحتيها:

«أجل، أشاروا إلى مقتله...»

«وكانت كلماتها لا تشكك نصح، لأن دموعها بدأت غزيرى وتسيل على وجنتيها ثم أودعت تقول:

«لاشي، يمم...»

أطلق جيس ضحكة ساخرة، وقال:

«ها، لاشي، يمم... أعرف أنك شخصية متقاتلة منذ التفتك. لماذا يظن بنا الناس إذا عدنا سوياً إلى الخلل والدموع تيل وجهك؟»

أشامت كولي بوجهها جانياً، بينما سحب جيس الدخان من سيكارة ثم واصل حديثه:

«حسناً، دعيني أخبرك، أولاً أنهم سلاحطون صممتا. وثانياً سيرون دموعك وستكون مدعاة لاتهامنا. ومن المحتمل أن يتحدي بي أخوك جانياً. ويسألني عن أهلي. وستتحدى خالتك بك جانياً لتقصي مدي علاقتك بي، وإذا كنا سعيدي الخلف لن برانا العم بن أما إن حدث ورأنا، قسيتهم من مقدمه المتحرك وبشال

عليك ضرباً لمؤسوسك، ويصدر قراراً بالاحتلال فعلي أرض ساندج...
 وأنجبت النمرق في عيني كولي غزيرة إذ كان الجرح لائماً دائماً في
 أعناقها من جراح كلبات الازدراء الساخرة، وعندئذ شلكتها الغيب، وقالت له
 بعدة:

«أرض ساندج: أرض ساندج! هذا ملجئك فقط»
 ثم ثابت صوتها نيرة الزدرك وكأنها تلتقط الكلمات من جوفها، وهي تواجل
 حديثها قائلة:
 «لم أعرف شخصاً يهتم بهذه الرقعة القذرة مثل اهتمامك أنت وحده، أنكلي سوف
 تقتلان عليها...»

وأصت كولي أن جيس قد بدأ عسافاً أمام عينيها وهو يتخفى إليها بعينيها،
 فتجمعت أرضها لقصته بيتاً أشاح برجوه عنها قعدت التوبة واضحة لعينيها
 وأصت بالانزواء بعد أن صدرت عنها تلك الكلمات اللبسية، طبأت تقول
 له بلعلم، فلم أفصد... يا جيس... أفسم أنتي...»

ولكنه ناطع كلماتها المتطشمة قائلاً:

«أنت على حق... طبأت ليلتك يا كولين»

وأصت كولي بأن كلماته قد تعني أيضاً الوداع... فزلت صاعته بلا حراك
 بيتاً تغل جيس سبله في الظلام الدامس، وشعرت بالحزن يزدق أوتار قلبها،
 وهي تدرك أنه لن توجد كلمات تستطيع أن تحوّل تلك الكلمات القاسية التي
 تلوّثت بها.

وأخيراً انقطعت الوردة التي سلطت على الأرض، ووجدت أوراقها ترفلت
 كمنزق شغاف قلبها لا شك أنه ضحك من أشواقها، لكن ترى ماذا يقطن بها
 الآن؟ وانطلقت من بين شفتيها ضحكة هستيرية قصيرة - ثم دقت رأسها بين
 ذراعيها، وقد استندت على شجرة البلوط وراحت تيكلي...

٨ - ثمن المزرعة

انقضى شهر كامل على الحفل

هذا ما فكرت فيه كولي وهي تنظر إلى نفسها في المرآة، لكن صورة الحفل
 كانت لا تزال ماثلة أمامها، وكأن أحداثها جرت ليلة أمس، فهي تذكر كيف
 استجمعت شينات نفسها بعد الحديث الخاد بينها وبين جيس، وانجبت لتنضم
 إلى المدعوين، حتى لا يشعر غيبتها تمازجها

أصت بسياط الغائب تظليها تلك الليلة، وبدت الأسوار الضاحكة، وأفرج
 النماز أشته دكاوس يهجم فوق صدرها، ولم تجد في نفسها أدنى تجارب مع محاولة
 تونني أن يجذب أحلامها ولا عجب من نظراتها التي كانت مسلطة على جيس
 وعلى قناته نائياً ذات الشعر الأسود

انقضى شهر على الحفل، وما هي الآن لكابد نتائج، بالثرأة تعكس شعور
 اللامبالاة البادية في عينيها وما حرق شفتيها من حصوص وما أصاب قوامها من
 هزال، والحقيقة أن الجميع لاحظوا ما أصابها، فأخالة حارلت أن تعرف ما يذوق
 البنة شفتيها، أما تونني فاعتراه الانزعاج لغفورها أمام تعليقاته، سنا كان النعم
 بين الشخص الوحيد الذي أفرك السر، ولذلك نعد أن يعجز إليها بأعمال غلا
 فراخ يومها... وكانت الساعات التي تقضيها معه تختلف من الأيام التي

تشعرها، وتحمس فيها أنها تزد إلى الجميل لقاء الهدوء الذي يبعثه في نفسها.
 أما جيس فقد تعبدت أن يتجامل الشقيق الذي طرا عليها، وكأنه يجد متعة في

الانتظام منها. فكان يبادر الى الانطلاق بهجراده في الصباح الباكر، ويغيب عن البيت يومين أو ثلاثة أيام. وكان كاملة ينه بالاعمال الثقيلة، ثم يعتمد الظهور في الأوقات التي يجلس مع العم بن حتى تسمع الكلمات القاسية المتبادلة بينهما. فلم تكن تشعر بالسلام إلا في الأوقات التي يغيب فيها... كان جيس فقط في سلوكه، وتحول وجهه الى قطعة من الصخر الأصم وظلت ملاعبة جامدة لا تنعوي ولا تعمل سوى تعبير السخرية. أما نظراته فهي نظرات نافذة كنظرات الصخر وأدركت كولي أن اسم العائلة سافدج، أي متوحش... بلاتمه غامراً.

وأحسّت كولي بالارهاق من احساسها بالذنب نحو جيس وهي تضع فرشاة الشعر على مائدة الزينة، وتذكر ما حدث ليلة أمس عندما تحفظت الأسرة حول مائدة العشاء... إذ احتدم النقاش حتى لقد مدت كولي السيطرة على مشاعرها فألقت مشقتها في الطين، ودفعت دفعها بانفعال، تحدىها الرغبة العارضة في مفاداة الغرفة بسرعة. لكنها توقفت عند الباب حيناً نادتها خالتها لتقدم اعتقارها الى جيس الذي رفع يده لتهنئة المؤلف فبادرت لحالة فائقة. ولكن كولي لم تكلف نفسها حتى غاء الاستئذان... احسّت كولي أن جيس انتصر عليها ثانية. فأمت رأسها ثم اغتالت تجري لتزطي الدرجات المزدببة الى غرفتها. انه أمر مضحك وهي تتأمل نفسها الآن في المرآة، كانت تود أن ترى نفسها شخصاً ناضجاً بدلاً من فتاة صغيرة تطاردها الأفكار المرتجفة. انها تحس الآن بملك الحب كهيوبيد، يستد سهاهه الى قلبها ويتركها مشغلة بالجراح بالروح مما حدث... فإنها ما زالت تحب جيس.

وكان الأمل يراودها في أن يترطف السلام على أفراد الأسرة، لكن المحاولات كانت تنتهي بالحرب؛ كم من معارك ترك مشتعلة قبل أن يوجد لها حل. وكيف يتحقق النصر مادامت الحرب دائرة؟ تطلعت كولي الى الساعة الموهجرة على عاتقة الزينة. وأدركت أن الوقت

حان لكي يتناول العم بن شاي الصباح. أصبح من عادتها في الفترة الأخيرة أن تعمل ائمة الشاي، وأصبحت المكتبة مكانها المفضل لما تبحث في نفسها من قهوة. بل أيتها لم تعد تهتم بالزراعة الستائر لدفع أشعة الشمس تتسلل الى الغرفة. سارت كولي يدهو وهي تتخذ سبيلها الى المطبخ، لأنها تعرب أن ماضي أعدت الصينية، وأن كل ما عليها هو أن تحملها الى العم بن. وقهلاً حملت الصينية وسارت يدهو حيث وضعتها على المكتب. وبعد أن سكبت الشاي، ألقت بجسمها على المقعد الوثير. وقال العم بن بدون أن يرفع بصره عن دفتريه.

ولذا حقق التطبيع ثمتاً غالباً، سوف نكسب عائداً كبيراً هذا العام... ولكنه اكتشف أمر كولي، كانت شاردة الذهن. ولم ترفع بصرها عن الخيار المتصاعد من فنجانها. وهنا سأله:

حسنًا، ألا تنويين التفرغ بشي؟

أجابت كولي وهي تتذكر ما يقوله:

وعلاً! أوه... أجل... سيحقق ثمتاً كبيراً

راح العم بن يجرد يدها ويقول لها وهو يمز رأسه الأثيب: «حاسبك أخلاً... وإن يطول بك الأمر حتى تبادري بالتصوير عن نفسك الزائدة بجيس. هل عرفت أخيراً حقيقة ناظر الزراعة هذا الشجر من المبادئ الخلقية... والذي يعمل عتلي؟»

اعتذرت كولي في جليتها، وقد أخذت بالوصف الذي يصف به العم عتيده، وقالت له يدهو وهي تحاول أن تغير دقة الحديث:

أخرجك... يا عمي... الشاي سيبرد.

قال بن مزحراً:

«لا تغيري دقة الحديث. عندما أسأل مؤلاً، أتوقع أن أتلقى جواباً عنه... رلعت كولي فندجان الشاي لتخلي الرجل الذي اعتدت شايه، ثم قالت:

«ألا يهكي الشجار النائر في هذا المنزل...»

قال الرجل المسن:

«ما بالك يا حلفتي؟ هل أصبحت تزينين بعدم وجود الذئب وسط قطع القتم؟
حان الوقت لأن تتوقفي عن رؤية جيس في صورة اللارس، وأن تعرفيه على
حقيقته، إنه رجل لاس يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، ولكنه لم يفر بعد بزرقة
سلاش أس، أليس كذلك؟»

وسعت كولي فتجان الشاي على المنضدة ثم قالت:

«جيس ليس مسؤولاً عن قتل أحد، أني بد أنت حينما تجلس هكذا، وتخبرني
بأنك مؤمن بالإنسان من لحم ودمك يمكن أن يدع أخاه يموت؟»

قال العم بن إلى الأمام لتري كولي ابتسامة شيطانية لم تست في
عينيه، ثم قال:

«اجل السبك لم بعد سبكاً، أصبحت أراك امرأة فقدت القدرة على الكلام
وحربة الآداة، وقد استقر رأيي هذا عندما رأيتك ليلة أمس وأنت تغامر بين غرفة
الطعام، كنت كالدجاجة التي تفر من السمكة...»

قالت كولي:

«هذه أول أسرة أنشأ بها... أفرادها محاربون بالسلاية، يجودون سعادتهم في
تعذيب الآخرين.»

وقع بن مقعد المتحرك من وراء المكتب، وقال:

«الغضب يجل عقدة اللسان ويدع الحقيقة تصدق.»

قالت كولي وهي تهز رأسها ببطء:

«كلام الغضب يلهب الجروح القديمة، ليجتها من أن تلثم.»

«هل تشارك الغفلة والنسيان؟»

أجابته كولي بدهر:

«أنا لم تستطع المغفرة، فأنت لا تستطيع الشيان والعكس صحيح.»

سألتا من فجأة:

وهذا ما تتوقعين حتى أن أفعله، أليس كذلك؟ هل تتوقعين مني أن أنسى النعطة
التي وقف فيها جيس تاركاً أخاه يموت، وأنه يعرف أن ريك سيوت المزرعة
وتتصورين بعد ذلك أنني سوف ألتج ذراعاً موحياً به؟»

صاحت كولي قائلة:

«لكن جيس لم يفعل ذلك.»

قال العم بن ساخراً:

«هذا ما يحدثك به قلبك... وليس عقلك.»

تركت كولي مقعداً، وكل جيسها بحجاب، لتقف أمام العم بن وتوزع
الغضب يتطاير من عينيها، وتقول له:

«أجل، أجل، إن قلبي هو الذي يهدئي، أني أخيه حياً كبراً إلى القدر الذي لا
تضمن معه حقيقة ما إذا قتل أخاه أم لم يقتله، سأزوجه غداً إذا جلب بيدي، ولم
يكون لحظة في أن أخذه بعيداً عن هنا، لما ترددت، فكنتي أفعل، لا بل كنت نجحت في
أن تشغل كاهله بذهب مصرع أخيه، وأخبر هو حكماً على نفسه بأن يظل رهين
سجنك فأصبح يعيش مع جده الذي يكرهه ويعجز عن الفرار من اتهامك الرجيب له
بأنه قاتل، كم هو لاس غيايلك تزل به... هناك الثور... ذلك الحيوان الآخر
الذي قتل حليدك، وترك تبة دائمة على وجه الحفيد الذي حاول أن ينفذ آتاه.
هل أنت مصر على أن تتزعزع وملاً من اللحم من جسد حفيدك المحي؟ أشهد أنك
شغفي كره... ثم أني أعجب كيف يؤيد الآخرون - فيما عدا جيس - بلعاً،
وأبك، ويشكن في علمك أنه لا شيء يضطرتني لبقاء هنا في هذا المنزل... سوى
وجود جيس.»

صاح بن وقد تضرع وجهه بالغضب:

«كفتي أنك لا تدركين شيئاً عما تحدثين عنه... لم تكوني موجودة ليلة مصرع
ريك، ولم تهتوي جسمه بين ذراعيك حينما كان يلفظ أنفاسه أمام عينيك، كيف
يحق لك أن تصوري حكمك علي وأنت لا تعرفين ما حدث تلك الليلة؟»

قالت كولي يغضب:

«أعرب ما حدث، أخبرني، نوني بكل التفاصيل، أخبرني كيف توجد ريك

الى المدينة وعاد متعتاً، وامتنى النور ثم راح يدور به داخل المظلة... يتأرجح فوقه كما يفعل لمرسان لعبة السروديو، ان ريك هو قاتل نفسه بالتأكيد استعنت بصبعائه جيس ولكن أين كان باقي أفراد الأسرة أثناء الحادث؟ أنت بلا شك كنت مستلقياً في فراشك، ولم تسمع حقيقك في الوقت الذي هرع فيه جيس الى أخيه بعد حدوث الفاجعة... وبعد كل ذلك تنهر جيس بأنه يهين وقتل، كلا... انه قفز الى المظلة، ونزل طعنة في وجهه من النور الخارج، وهو يحاول ان يقتل أخاه... لا تقل لي أنني لا أعرف ماذا حدث.

أعسى الغضب عيني كولي فلم تر الشحوب الذي ملأ وجهه من والغضوب الزوال التي أحاطت بشفتيه وهو يخلق موهناً في وجهها ، وأخيراً قال العم الكهل بصوت خافت محطماً:

«ولكن ريك طال... انه ظن يطلب من جيس ألا يلف مكتوف اليدين وأن يسارع الى تجذته، مات وهو ينادي جيس».

صاحت كولي قائلة بمرارة:

«بالطبع كان ينادي جيس، لأنه أخوه... أليس كذلك؟»

سأل العم بن بصوت هامس:

«إذا لم يكن جيس هو الذي سارع لتجذته، فمن يكون إذن الشخص الذي كان واقفاً أمام ريك؟»

أجابت كولي بسخرية قبل أن تتركه:

«لا أعرف... من المحتمل أن يكون وهماً في خياله»

وبدئة حدث انتفاضة مفاجئة صمرت من ملعد بن «حدث انتباه كولي، وقزعت لدى رؤيتها وجهه التبايح وقد غلبت عن وجهه لمهبت قاتلة:

«عني بن... عني بن...»

وادركت على الفور أن أزمة قلبية قد داهمتها، فصاحت تطلب المساعدة، والفتة طارت المرفة تصرخ بجنون متدبة ماغي والمائلة وأقبلت ماغي على جناح السرعة، لتجد كولي والمظلة وسط الفصالة تشرح لها ما حدث، وذابت

ماغي تطلب الطبيب عاتقاً، بينما عادت كولي اليه. وعندما دخلت الغرفة، توقفت لحظة، إذ لم تجد بن حالاً على مقعده المتحرك، وتلحى الى سمعها صوت كان صائراً من أحد جوارب الغرفة، فاستدارت لتري بن راقداً على أريكة بيتا جيس يضرب صدره بقبض يده.

صاحت كولي قائلة:

«جيس... لا تفعل هذا، لا... لا تفعل... لا تقتله... أرجوك يا جيس».

صاح جيس بغضب:

«كفي يا كولي، قلبه توقف... انني أحاول إنقاذه...»

التقطت كولي أنفاسها، عندما أدركت أن جيس يحاول تدليك القلب، بيتا هي تنهض لمحاولة لشل جده، وبخبت عن ملعد، وبخداها وجهه، ألفت جسمها عليه، ودموعها تجمدت على وجنتيها وهي تتابع بهنسي محاولات جيس المستعجلة لا نفاذ جده، وسألت نفسها، ماذا حدث لومات بن؟ انها المسؤولة عن ذلك، وبذلت جهوداً مضنية لتحويل دون وتويعها قريسة أجنبيون.

تطلعت الى جيس وهيمت قائلة:

«لماذا المخطئة... أنه سيموت... انها خطيئتي...»

أخذ يعلها، وهو يلوح لها:

«لا تشغليني بهوسك وجنونك... ادعني وتأكدني أن الطبيب في طريقه اليها».

هزت رأسها وكأنها أفادت من صفعته على وجهها، وسألت نفسها، لماذا تريد؟ هل تطلب الرأفة من جيس؟ وبخبت قدامها فاصطدمت بالحالة التي أقيمت بسرعة وهي تندفع الى الغرفة وتتوجه الى الأريكة.

أصت كولي أن أحداً لا يحتاج اليها أو يربط في وجودها، فراحت تنعثر في مظهرها وهي تنفذ سبيلها الى غرفتها، وكانت العمود الشهيرة محجب الرؤية عن عينيها، وعندما أوقفت على فراشها، راحت تنحب بحرارة... خجلاً من حريقتها، ولم تعرف كم من الوقت ظلت واقفة في فراشها، وأثناء أفادت على صوت الباب وهو يفتح، وأقبلت العم بن مبهاً، وقد أثرا بصرها فأغلقت عينيها ثم راحت

تفتحها على مهل. وتدير رأسها في اتجاه وقع خطوات الشخص القادم... الذي ولفت إلى جوار فراشها.

رفعت عينها لمرات جيس ينظر إليها، وقد مدت يدها والحصاة على وجهه، فصاحت به نائبة:

«هات... أليس كذلك؟ أنا قلته! أنا قلته!»

ثم تهاوت ثانية على الفراش، والدروع تهرس على خديها وشعرته به بجس إلى جوارها، ولم تستطع أن تسمع نفسها من النحيب عندما أمسك كتفها بيديه، وجلبها قريباً من وجهه، ثم قال بدموع:

«سينقلب على الأربعة، انه حي... وسينقلب على الأربعة».

واجتاحتها فرحة. فراحت تهفف دمعها ونظراتها تطلب منه تأكيداً لكتلاته:

«لو أنه مات لما غفرت ذلك لنفسه».

أخذ جيس يسمح الدروع عن خديها، ثم قال لها:

«لا داعي للتفكير في هذا الموضوع».

حاولت أن توضح له مدى القبح الذي يتوهم به كاتلها، فطالت بأصابعها «لكنني أنا الذئبة، كنا تتقاتل... واتهمته بارتكاب أشياء رهيبة. هذا ما يبرر متي عندما حدثت...»

فقط حاجبه عند سماعه كلماتها، وقال لها:

«لا أنصوّر أنني في حاجة لأسالك عن حقوى المناقشة. أليس كذلك؟»

ثم نهض بفكر مكانه، فطالت له بدموع:

«كان حديثنا يدور حول مصرع أريك».

فأشاح برجعه عنها وهو يتكلم بمرارة:

«كم مرة طلبت منك ألا تتدخل في هذا الموضوع...»

قالت:

«لم أستطع... ولا أستطيع أن أمتع نفسي من التدخل... وأنت تعرف السبب».

عاد يجدي فيها فائلاً:

«جسناً، لن تتدخل ثانية... لأن السبب الذي برأوده، لم يعد له وجود».

أجابات فائلة وهي ترفع رأسها في شموخ:

«أعرف ذلك، لأنني دمعت بكلماتي الخفا كل شعور يمكن أن تكنه لي، وفي هذا الصباح، كان عدم امتناعي لمحاولتك الانقاذ بين قد أنني على البنية الباقية. ولكن هذا لن يوقف نفسي في أن أراك أنت وبعدك تعيشان في سلام، لا أظن أنني سأستسلم بسهولة».

قال جيس:

«الآن أعرف أن من بدأ في التحسين... إذا رأيتك تتدخلين بيني وبينه قد...»

ولكنه لم يستطع مواصلة حديثه إذ سمع دقات على باب الغرفة، فأسرع إلى فتحه، ووجد داني واقفاً في قنق واضح وتطلع إلى كولي قبل أن يوجه حديثه إلى جيس قائلاً:

«انه يريد رؤيته... وأنت يا كولي أيضاً».

أمسك جيس بذراع كولي وراحا يهبطان درجات السلم الذي يقضي إلى الصالة حيث وجدا في انتظارهما شخص صلب الوجه، انه الطبيب الذي تحدث إلى جيس قائلاً:

«معالته أفضل يا جيسون... كنت أريد نقله إلى المستشفى لكن صحته لا تحتمل مجهود الانتقال. يسألني عنك وعن الفتاة. ادعها إليه ولا نكثنا أكثر من دقائق قليلة، وأطلب منكها تركه على الفور إذا اعتراه اضطراب».

قالت كولي لـ جيس:

«أخبرني أنك قلت صحته سيئ...»

صمت جيس غيرتها:

«قلت انه حي... وأنه سينقلب على الأربعة، انه واحد من أفراد عائلته سأقذف

بعد كل شيء».

حدث الطبيب في وجهه جيس وقال:

ولم يعد يكثر منّا عانى أم مات، أرجو منك تخلصاً أن تحمله على أن يعدل
عن رغبته في التخليص من حياته».

كان الاضطراب بادياً على كولي وهي تسير بصحبة جيس في طريقها
إلى العم بن. كانت ساقها لا يقوى على حملها وهي تقرب من حافة الفراش
حيث يرقد الرجل الكهل، وتحيط بجسده غيمة الأوكسجين الهلستنيكية،
ولاحظت أن صدره يرتفع ويهبط، وأنفاسه تتلاحق، ثم تطلعت فوجدت وجهه
شاحباً وعينه غمطتين. وعندما سيج وقعها رفع جفنيه، وأشار بيده أن يترنما
منه حتى لا يشغل ذهنه كثيراً في الكلام، وهسي قائلاً:

«كولي... يا طفلي... لا تلومي نفسك على ما حدث... هل تسمعين؟»

أجابته كولي:

«أجل... يا عسي بن».

وتطلع إلى جيس هامساً:

«اعرف أنك أخذت حياتي».

قال جيس:

«من واجبي أن أعمل يا بن برسم أنني لم أعرف بعد إذا عرفت وجيبك
لصالحني أم لا».

حدثت كولي في وجه جيس وقالت وهي لا تهت الأنفاس:

«وما هذا الكلام يا جيس».

ثم حولت بصرها إلى بن لمشاهدته إبتسامة وافعة على شفتيه وقد تألفت
عيناه وهو يحسن قائلاً:

«لن نبقى سلاش أس...»

ثم لوّح بيده واستطرد يقول:

«الاهيا الآن الزكا الرجل الكهل يموت بسلام».

قال جيس ساخراً:

«منظرك لا يموت بسهولة يا بن...»

قال بن:

«ستتحدث لي بعد... أريد أن أستريح الآن».

قال جيس بصوت حاد تريد تصفاه في الغرفة:

«أمرك يا بن ستتحدث لي بعد... وسأعطيك سلاش أس».

ولم ينتظر جيس اجابة الكهل، وإنما أمسكه بقرع كولي وقاده إلى
خارج الغرفة، وكانت قبضته حازمة على ذراعها، وقد حرص على أن تثقب إلى
جوارحه وهو يتحدث إلى الطبيب، رافضاً أن تثقب عيناه بنظراتها القزعة ولم
تحاول أن تسمع الحديث التي تاربيته وبين الطبيب، لكنها كانت تتسأل: لماذا
لم يحاول أن يشجع جيس السكينة في قلب جنده؟ ولماذا أصر على السخرية من
الكهل وهو على فراش الموت؟ كان على جيس أن ينتهز فرصة الثوبة التي
أضابت بين خيار إلى مصالحته بدلاً من أن يعقن بده جولة جديدة من الحرب.
أطلق ذراعها من قبضته عندما أخذ سبيلها إلى غرفتها وكانت في حالة لا
تسمح لها بالحديث أو الاعتراض، وعندما دخلت الغرفة أغلق الباب وراءه، ثم قال
بهيس:

«الآن... فتعد إلى موضوعنا...».

ووجدت كولي الكلمات تنطلق من فمها متباعدة:

«لماذا تحدثت مع هذا الأسلوب؟»

سألتها بفضول:

«لماذا تظنين أنني تحدثت معك هكذا؟»

قالت:

«ألا أعرف، ولماذا انتسب أسألك؟ ربما كان يصنع عنك، لو أنك طلبت منه ذلك».

قال بعدة:

«ربما لا أرغب في غفرانه... وربما لا أرغب في أن أكون ضالماً بدور في مسرحية
ولماته... كلا... لن أكون شريكاً في معاهدة صلح ليرم في آخر لحظة من حياته».

صاحت كولي قائلة:

«جسناً... فمك يكثر بك الحسنة، واجعلها تعرض سبيلك إذا شئت...».

وتوقفت عن مواصلة الحديث... إذ ارتج صوتها باضطراب عواطفها ولم تسترد
أنفاسها إلا عندما جنح جيس إليه، فاستطردت تقول له:

«هل كان ذلكك إلى الغدا، وكيف في أن تلوي له أنك تريد المزرعة لنفسك؟ ألم
يكن في وسعك أن تقرر عليه هذا الغدا؟»

أثب أصحابه في كنفها، وكأنه يريد أن يهبها لتستعيد عواطفها ثم أجاب
قائلاً:

«كلا... كلا... كنت أريد أن أتأكد أنه مازال حيّاً، الكراهية قد تدفعك إلى الطريق
الذي يدفعك إليه الحب، وإذا كانت الكراهية تستطيع أن تستعيد من عذاب
الموت، إذن دعهم يكرهني، والركبة بقنات عليها، وينام على وسائدنا، ولكنه
يفعل كل هذا وهو حي»

ألقى سبلها، لمسكت على اللواش، ثم غادر الغرفة، وخلال دقائق، اندفع
داني وكان يادي القلق على أخته، ولذلك سألها على الفور:

«ماذا حدث؟ ماذا فعل؟»

أجابت كوكي بهشونة:

«لا شيء... يا داني أنا التي أخطأت في حقه وفي حق العم بن»

والقرب داني منها محاولاً أن يقرأ توضيحاً للأمر على ملامح وجهها لكنه
فشل في محاولته فقال لها:

«لا أقهم كلامك...»

فقلت كوكي وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة:

«أعرف أنك لا تدرك قصدي، أطلب منك أن تتركني وحدي»

بدت الحيرة والارتباك على داني لكنه امتثل لرغبة شفيته وتركها وحدها في
الغرفة.

ومضى أسبوع، واستقرت فيه حالة العم بن، حسب رأي الطبيب المعالج،
وقالت كوكي إن الكهل تجاوز مرحلة الخطر وفي طريقته إلى الشفاء، أنه
ضعيف، لكنه في وسع أن يهدد ويتوعد إذا تطلب الأمر منه أن يفعل ذلك.

وخلال هذا الأسبوع لم يحاول جيس أن يطأ قرب الكهل وقد سمعته
كوكي مرات يسأل الحالة عنه، لكنه لم يحاول أن يدخل للسؤال أو يسأل
كوكي نفسها، رغم أنه يعلم تماماً أنها تقضي وقتاً طويلاً بصحبته... تقراً له أو
تحدثت إليه، ولم يحاول جيس أن يغير فراها حق قدرها ومع ذلك لمهي لا
لومه ألم لقطي، الحكم عليه عندما وأنه يشرب بشفته صدر بن محاولاً
انقاذ حياته، وكان الكهل أياً للغاية، معتزاً بكرامته، فلم يسأل عن حقيقته، لكن
كوكي كانت تخبره بأن جيس سيأتي لزيارته، وكانت حينها تتألفان فرحاً
عندما تسع طرقات على الباب، فلتوض أن القادم هو جيس، وسرعان ما تغير
الفرحة في مهبها حينما تجد شخصاً آخر غير جيس، وكان من عادة الطبيب زيارة
المريض كل صباح، ثم يعهد للمرضى القيام بهافي الغمام.

ولدت صباح انظفرت كوكي حتى أحصى النهار، فقامت وتوجهت إلى
غرفتها للاستحمام واستبدال ملابسها، قبل أن تهبط لمساعدة الخالة وماغني في
اعداد الطعام، وكان صوت وقع حذاءها على الأرض الخشبية للشرقة عالياً فيبدو
السكون الذي يسود المكان، وفتحت كوكي الباب المؤدي إلى المنزل، فوجدت
ماغني قد جالت في أرجاء المنزل وأسدت الستائر حتى تمنع شمس تكساس
اللامعة أن تلهب التوافد بحرارتها.

وعبر الصالة تردد صدى ولع أقدام تطأ الأرض، ثم صوت باب يتفتح،
فتنهلت كوكي لحظة عند نهاية درجات السلم، إنها تعرف أن الطبيب آتسى
وتعجب منه قليل، ومن واجبه زيارة بن للسؤال عنه وخاصة أن الكهل ثلوث
أفصاهه عقب كل زيارة يقوم بها الطبيب وهو الآن وحده لأن الخالة تقضي
الصباح في حديثها، وماغني مشغولة بإعداد الطعام، عندئذ شكرت صوت
ولع الأقدام في السر ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص يقوم الآن - بزيارة
بن وعليها أن تخلص للأنك من ذلك ويبدو اجتازت الصالة حتى اقتربت
من مكتب بن فوجدت بابه مفتوحاً على مصراعيه فتمسكت بهدوء ثم تطلعت
متعجباً خلال باب غرفة نوم، فوجدته منشوراً شيئاً، وتناهي إلى سمعها صوت

بن يتروى في الغرفة، وأدركت أنه بصحبة أحد الأشخاص وأنه بحاجة لمزيد من
وعينها شرعت في الذهاب سمعت صوت الشخص الآخر يتكلم وعرفت ضاحكة
على الفور. كثر المتحدث هو جيس وانتبهت فجأة الرغبة في سماع ما يدور
بينهما. فسارت على أطراف أصابعها حتى دنت من الباب. وسمعت صوت بن
يقول:

«حسنًا.. لا تلهي إذا كنت ترغب في أن نتطاول على رجل مسن مريض مثلي...»

قال جيس بهتود:
«ربما تكون مريضاً، وربما تكون مسناً، ولكنك ماركت رجلاً يا بن... جئت
لمناقشتك في أمر المزرعة».

«حسنًا.. لا أريد أن أتحدث الآن في موضوع المزرعة... هذا يدعشك أنيس
كذلك».

«لا شيء يدعشني».

«واقفاً أدركت أن أتحدث معك في موضوع كولي».

وتوتر جسم كولي عندما سمعت كلمات بن وأجبت بغطاء يحاول جاهداً
أن يحد ما سوف يقوله الكهل. وظهرت سمعها صوت جيس ينسأل:

«كولي...»

«أجل.. كولي، أنها حبيبة لك، متدخلة بحيك، هل تعرف ذلك».

شعرت كولي بتقيها تنابع خلقاته، وخشيت أن يسمعها دقابة تعاقبت أن
تهدي من اضطراب عواطفها وأرهقت أذنيها، فسبغت جيس يقول:

«أأنت تتسائل ما هي نواياي تجاهها؟ أليس هذا الأمر من شؤوني الخاصة».

أجاب بن:
«ربما.. والما ما يعني هو عواطفك نحوها».

سأله جيس:
«هل تعني أنني ألو بها؟ دعني أؤكد لك أنني لا أقبل ذلك.. فعندما جاءت إل
هنا، كانت فتاة خجولة وصغيرة، ولكنها الآن كبرت وتضجعت».

وختم الصمت هنيهة. ويدوان بن كان ينتظر من جيس أن يواصل
حديثه. وأخيراً قال الكهل:

«أعتقد أنها مقنونة بك.. هل فكرت في الزواج منها».

قال جيس بهتود:
«لعبت معك لعبة استغرقت وقتاً طويلاً... ولن أجب على أسئلتك قبل أن تخبرني
إلى أين يقضي بنا الحديث».

وسمعت كولي عشيخة أوراى تتردى في الغرفة، لعل أن يطلع الصمت
صوت جيس وهو يقول:

«هل هذه الأوراق معدة لكي تصيح سلاش اس ملكاً لي؟ هل يمكنك أن توضح
الأمر».

«الأمر في منشئ السلطة، إذا تزوجت كولي، فالمزرعة تصبح ملكاً لك ولا
تحتاج الأوراق شيئاً سوى توقيع وتوقيع الخالة و مالي كشاهدين».

عشت كولي على شفتها حتى تقع نفسها من اليكا، فقد اكتشفت المهانة
التي أثبتت كرامتها أمام جيس فإن بن يطلب وطناً منها حتى ينال

جيس مقفونه. وسمعت صوت جيسون البارد يفترق جدران الغرفة
مستائلاً:

«كلاهما».

قال بن:
«يقول لماذا لأنك تريد المزرعة، أرحم أن تكن لها بعض العواطف فإن الزيجات
تنجح إذا توفر لها الامكانيات اللازمة...».

فقال جيس وهو لا يلتفت:
«ولكنها صغيرة للغاية».

أجاب الكهل:

«إنها امرأة... فلا تخطي.. في ذلك، قد لا تكون مثقلة الجسم، ولكن عواطفها
جياشة».

ورقة خامسة

«أنت لم تحب علي سواي بعد لماذا تفعل كل هذا؟»

وتحلت تماماً بكولي في الأسابيع السابقة. وأريد أن أراها تال كل ما تمت...
إنها جدي بذرة عن الحق... وهذا ما أعجبني فيها ونسب لا يعرف كنهه أحد
سوى النساء أجد الفتاة تريدك وسأعاريها على تحقيق رغبتها بكل طاقتي.»

راحت كولي لمو كاللطة وهي تحدث نفسها في صوت:

«أوه... من أروعك لا تفعل ذلك... لا تجعل المزرعة جائزة فتنها لجيس.»

ولفح صوت بين تذكرها وهو يقول:

«لا حاجة بها أن تعرف لماذا لن أغيرها وأنت يدورك لا تغيرها.»

وافق جيس قائلاً:

«لا لن أفعل ذلك...»

وعندئذ أسرع كولي تغادر مكانها والدموع تفرق في عينيها وأخذت
يحببها إلى الصالة، حتى بلغت ساعة الحائط العظيمة عند نهاية درجات السلم،
فاستندت عليها فلتقط أنفاسها. وتكلم أفكارها عن المذهب... ها هي الآن تصيح
الأداة التي تنجز هذه المهمة. وأحسست بالألم يرقى قلبها. يا لها من مهزلة...
والكهل بسدد انتقامه الأخير. يتوهم أنه يوفر السعادة لكولي بزواجها من
جيس. ومتى وافق جيس على رغبة جده. يتال المزرعة بيتا كولي تمنى
أن يعرف السلام على أفراد الأسرة. وأن تصيح زوجة جيسون... يا له من تمن
بدقه الثلاثة...

ولم تترك كولي كم من الوقت مضى عليها وهي وافقة إلى جوار السلم.
كانت أفكارها تتأرجع مثل حركة رصاص الساعة التي تشد اليه. وأدركت
وجاء أن شخصاً يشاهدها وهي في حالتها هذه. ولن يتحجج لها عقلها المضطرب أن
يجد عذراً معقولاً ليرد به وجوبها. لذلك قررت ترفقي للترجوات... لكنها قبل أن
يراقب إلى غرفتها، سمعت صوت جيسون يتأني الحالة والمشي للعثور إلى
غرفة من..

٩ - الكوخ... من جديد

لم يحضر بال كولي أنها ستشعر يوماً بمرارة إلى هذا الحد، غير أن الألم،
والاقتلال أخذاً بالتضلل والدموع توقفت وقجأة أحست بالأسف على نفسها...
لأنها أفتقدت السعادة خلال أيام الفراصة. وهضت بنفسها من أجل لمريض
أمها. وعاشت حياتها تعتمد على الآخرين. وأخيراً دفعتها الأيام الفاسدة كي تأتي
إلى هذه المزرعة. وأنتابها شعور بالكراهية ضد هذا العالم... هذا العالم الذي
يضم أناساً يعيشون على الحداق والخذل. ولكن أكثر شيء كرهته في هذه اللحظة
تلك الرغبة الشاذجة التي أخذت تروج في صدرها لكي تؤذي أحداً... إنها رغبة
محرقة تعيش في أعماقها وقد أحسّت بها وهي تهبط الدرجات وتنفذ سبيلها إلى
غرفة الطعام لتتناول العشاء.

وكانت قد اعتبرت عن تناول العشاء بسبب صناع ظاري. تعصها. وظلت
منزوية في غرفتها طوال فترة العصر... وأحسّت أن دقائق قلبها سوف تفضح
كذبتها البيضاء. وشعوب وجهها سوف يكتشف عن اسرارها المحدث الذي دار
هذا الصباح. فبذلت جهدها لأن تهدئ من روعها وتقلع نفسها بأن أحداً لن
يسألها توضيحاً عن سبب غيبتها.

ولما دخلت غرفة الطعام، سألتها الحالة قائل:

«ها أنت قد جئت لتناول الطعام هناك. خشيت أن تلازمك الوعكة وأن تطلي
طعامك إلى غرفتك»

فتت : قول : تالیه

والله اعلم بشئ يخص هذا الباب...

وشعرت بصدمة ارتج لها جسمها عندما وقع بصرها على جيس جالساً على رأس المائدة في المكان الذي يشغله عادة بن. وعندما أتت من المفاجأة، حدثت نفسها لئلا تذكر المكان يتابعه لها.

واعتظرت تقول بصوت مرتفع

بأذن الله تعالى

وراحت تحمل مقعد فاني كي تنجب المجلس على مقعدها المعتاد الذي يقع على يسار جيسون وراحت بين جالساً في مقعده المتحرك الى يمين جيسون وجذى الكهل وكأنه يطلب منها أن تجلس بينه وبين حفيده، لكنها لم تشأ تحقيق رغبتهم. كما لم تحاول أن يلتقي بصرها ببصر جيسون لئلا يرى الألم والحزارة في عينيها، وجعلت لترسم ابتسامة على شفتيها وراحت تسأل خالتها عن دورها وهي تعرف مسبقاً أنها سوف تتحدث حديثاً طويلاً يستغرق الدقائق التالية.

ولم تشعر كولي بهذا الطعم أثناء تناوله وأما راحت ليزر... مسيطرة
اللب. وبين القبة والأخرى فخلت النظر ثرى ماذا يفعل جيس، وعندما فرغوا
من تناول الطعام بيأت ماعى ترفع الأطباق وتحضر الحلوى، فقال لها بن:
«سنتناول الحلوى في الشرقة يا ماعى» وأحضرى أيضاً بعض الشراب إذ حلق
الوقت لتقيم احتفالاً صغيراً.

أخذ قلب كولي يقف في صدرها عند سماع هذه الكلمات. ولعنت أنها لن
تقوى على سماع من يعلن انتقال حليكة المزرعة إلى جيس ليكون هو
المالك الجديد.

التفت كوفي واقفاً، لتبعد عن المائدة ثم قالت بصوت يسم عن
اضطرابها

والسبحوا لي أن أخلص الطرف، فأنا في حاجة إلى بعض المراء، سأضرب اليكم فيها



وأثارت وغيتها في الرجل غضب من لكنها سرعت تحتاز باب العفوة. وتوجه الى الشرفة. ثم تراجل سيرفا في الحديقة قبل أن يتأقها أعب وراحت تبحث عن ملأ لها بين أشجار البلوط واستندت الى أحد جذوعها وألمضت عينها. وراحت تتصور ما سيحدث الآن ستطلع رطلأ من بدنها ثمأ للزراعة وتساءله هل من العدل أن يكون قلبها هو هذا الرطلأ؟ هل هي ضحية لتفيل فخرها يمل هذه السهولة؟ وأجابتها المرارة التي تخرج في أعقابها فائنة... لا... لا يجب أن تفعل جيس... تشعر بالأثم وقيمة الأمل اللذين شعرت بهما.

وعندما فُتحت عينها، كان قد فر عزمها على ألا تجعل انتصاره عليها أمراً سهلاً... لأن تكون الأداة التي يثق بها سلاسل أس، وطرق سمعها وقع خطوات تقرب منها، كانت تعرف أنه سيأتي للبحث عنها، فهو لا يستطيع أن يحقق شروط اتفاقته مع جده ما لم يتحدث معها على انفراد وكان هذا السبب هو الذي حفزها على مغادرة القاعة، عارفة أنه سيجتث عنها، وبذلك كانت تدفعه إلى التآمر... وفقاً لشروطها هي.

أقبل جيسي حتى وقف إلى جوارها، وقال لها:

أنت هنا [لماذا تركت المائة شهادة](#)

آیات کرمی و معنی تفسیر

«كنت قلقة من حاجة إلى بعض الطرقات»

والقرب منها واضعاً يده على كتفيها، لئلا تراجت قليلاً، فقال لها بهيرون:

۱۸ گوی آرید ای آتکلم معک...

فَرَّتْ كَرِيمٌ كَتَبَهَا لِحَبَدٍ يَدُهَا وَقَالَتْ

البر لربنا آي موهوبه شكلا فخره

بدا آنکه یک اصل بود و بقا

«كلّى، اننا نعيش في توتر دائم طوال الأسبوع الماضي، ولكن شيئاً حدث اليوم

نہایت افسردہ

تجاهلته تماماً، وشرعت تسير نحو حديقة الزهور، وكانت تعرف أنها تتعمد
تأديبه، وتعلم أنه سيطلب يدها، لكنها قررت أن تكون أملاً عزيزاً بالنسبة إليه.
ولم تكن تفكر إلى أي مدى متعلق الأذى به، وأفادت على وضع قدميه وضو
يلحق بها، ولفت عيناها... عندما أدركت مدى عبثها بعبثها.

قال لها وهو يمدق في عينيها

«يبدو أننا نستمتع هذا المساء ليلة قمرية».

قالت:

«أجل...»

ثم تطلعت إلى القمر الشاحب في كبد السماء، وأردفت تقول:

«ولكن يبدو غليلاً... أنه لا يجعلنا نشعر بشاعرية المكان».

وأصم جيس بشرة السخري في كلماتها، فأمسك ذراعها خلف وحنها نحو
لتكون في مواجهة، ثم سأله بجد:

«وما بالك يا كولي؟ لماذا هذه الحرارة التي تحدثني بها؟»

قالت: كولي، وهي تنظر إليه بخسامة

«كنت أظن أنك ستكون سعيداً بدماعتي...»

وبالرغم من أنها كانت تشعر بلذتها بتمزيق في هذه اللحظة، لكنها كانت
سعيدة برؤية علامات الغضب التي ارتسمت في وجهه وبشج أصابعه على
كتفها، وواصل حديثها الباسف، فقالت له:

«ما لي أراكَ تضحك؟ هل أنتهت القطة لسانك؟»

ترأخت أصابعه عن كتفها، ثم قال:

«يمكنني أن أعزك حتى ترتج أسنانك. أي نوع من الألعاب تفضله؟ هل تزيين في
أن ألقى بك على ركبتى وأضربك على فمك؟ أنك تسكون مملك الأطفال».

حاولت أن تتخلص من ذراعها، وهي تقول له:

«انت يا جيس، دأبت على أن تقول أنني طفلة».

«لا داعي للمحاور... يا كولي...»

سألته بسخريّة:

«ألا ترغب في أن أخبرني إلى أي مدى تحبني؟ وتعدني؟ وكيف أنك لا تحتمل
الصبر حتى تتزوجني؟ التي أتحرق شوقاً لهذا الجزء من المسرحية».

حاول أن يغطي غضبه، وهو يقول:

«عم تحدثني؟ أين كنت هذا الصباح؟»

لوحث كولي يدها نحو السماء، وهي تحاول أن تغير دقة الحديث:

«أوه... جيس... الليل قصير، ورائحة الزهور تعبق المكان... وبالتأكيد في
ومعك أن تطرح أسئلة أكثر شاعرية من هذه الأسئلة التي توجهها إلي».

«وما هو القمر الذي سمعته هذا الصباح؟»

«لا أخبرني بأنني سوف أملك منصب الأسئلة هذه الليلة».

وشرعت تد ذراعها لتحيط بها عنقه، وترفع وجهها نحوه، بشفة وبيرود.

وسقط ذراعها لتحيط بخصرها وهو يشد نحو. وأصمت بضلعها تنهم

لمحت شفتيه، وشرعت أن تلمع بفعلها... وبذلها وينظم منها حتى لم يبق لديها
شيء سوى عاطفة واحدة، هي عاطفة الاستسلام لحبها.

وأماك من تشربها عندما أطلق ذراعها، وفك أسرارها عن عنقه، وأبعدا

عنه وكأن النار التي أحرقها لم تفسد بسوء.

وتنلعي إلى أفتي كولي صوت قلبها وهو يبق بألم لأنها عادت تستسلم
لشعر ثانية، ولكنها سرعان ما سيطرت على مشاعرها، وطبعت لمك عطفها

وأستغاثت بصعوبة أن تستعيد هدوءها.

قالت بسخريّة:

«انتهت اللعبة، والآن جاء دور الحديث...»

قال جيس:

«أظن أنه لا حاجة بنا إلى ذلك... يبدو عليك أنك استرقت السمع للحديث
الخاص الذي دار بيني وبين. بن كولي لفظ لا أؤمن وإن كنت أريد في معرفة
سبب الحرارة التي تزرقك».

قالت كوكي لخالتي:

«يجوز لا ونعم؟ يا لك من شخص أناني. هل أنا غريبة تلك والجدة؟ من حلي أن أقول كلمة في الموضوع. أعلم أنني لن أكون الآداة التي تهيك قلب صاحب هذه المزرعة. أرفض أن أكون مجرد قسيمة زواج تتأرجح فوق رأسك. لنقول «تزوج هذه الفتاة» فتصبح المزرعة مثلاً لك». أعتقد أن الأمر يبدو غريباً لك عندما يصدر مثل هذا الكلام من فتاة فقيرة. ولكن... لن أتزوج بدون حب».

قال جيسي ببيوت:

«والحب لن يدخل في زواج يعقد بيني وبينك».

قالت كوكي بغضب:

«بالتأكيد لن يدخل. أعرف أن العم بن أخرك بأشئ مضيق بك. ولكن هذا ما لم أقصده تماماً. والحقيقة أنني قلت له أنني أحبك. وأحب العم بن والحالة وتوتني أيضاً. وبالتأكيد لن أتزوج أحداً من العائلة. لا نسي. فهمي يا جيسي كل ما كنت أود أن أراه هو أن يسود السلام بينك وبين جيك... وإن كنت قد أضفيت البطولة على قلبك معك».

أخرج جيسي سيكارة ووضعها في فمه. ثم قال:

«وضعت القضية في مسارها الصحيح. أليس كذلك؟ أما مواقف الحب فما هي إلا لحظات ترفيق كثر في السابعة وركوب الخيل... وبذلك وصفها بأنها مجارب... أو جروس تحتاج إليها الطبيعة البشرية. وإذا أراد المزم أن يتعلم فعليه أن يبحث عن شخص تكون لديه التجربة. وكنت أنت تتمتع بها... ولكن الرغبة لا تدوم طويلاً. ومهما كان تشكرك بي. فأنسي أصبحت ناشئة يا ليه الكفاية لأن أعرف ذلك».

وأشعل جيسي سيكارة. ثم سأله:

«لا أظنك تعتقد بأن الرغبة يمكن أن تتحول إلى حب».

قالت كوكي بمرارة:

«لن أضحى بحياتي كلها حتى لمون الفرصة لكي يحب أحداً الآخر. إذا كان

العم بن اشترط عليك الزواج متى لقاء حصولك على المزرعة. يمكنك الحصول عليها بدون استخدام خيوطي التي تلعب بها. ايضاً لك عن وسيلة أخرى... لأنني لن أقبل الزواج منك».

جدي جيس في وجهها. ثم قال:

«افترض أنني كنت لقلب صاحب المزرعة هذا الصباح».

قالت كوكي وهي تسمع برأسها:

«على هذا الشرط سأقبل خطبتك متى هذه الليلة».

راح يدرس وجهها بهدوء. ثم سأله:

«هل تعتبرها خطبة رقيقة واثقة... حتى أستطيع أن أقنع بن برأيك».

أصرحت تقول:

«كلا... كلا... لن نتزوج».

سحق جيس اللذلة بقدمه. وقال:

«والآن. أنت تعلمين أن قلبه فعل ذلك من أجلك...».

تطلعت إليه. وقالت:

«سأشرح له الأمر. وأنا واثقة بأنه سيدرك حقيقة موقعي».

«لأنني أن يكون لي نصف قلبك. انه لم يشف تماماً من أزمته الأخيرة».

وانساب صوت جيسي هادئاً في أذنيها. وشعرت بكلياته تغوص في عقابها. وأدركت وبشدة في أن يفوز بالمزرعة. وقد استغل عواطفها استقلالاً شيئاً لكي تلقي مع قلباته. لكنها استجعت شتات فكرها وراحت تافس الفرواة التي دلها إليها جيسي. فقالت له:

«أنا لا أكره كثيراً. لن أكون غطيتك معها كانت الظروف».

«تتمنى مرة بأنك لفتاة شديدة الحساسية لكن تلك الفتاة الرديئة التي آخذتها

مرة من الظهر تحولت الآن إلى فتاة شرسة».

فاطمت وهي تتمتع برحلة تمرى في جسمها. قائلة:

«وأرجوك... لا تذكرني بذلك الفتاة الساخنة التي كنتها ذات يوم».

وأصحت بقبضة يده تعصر قراعها، وهو يحدق في وجهها، وراح يسأله:
«ماذا حدث تلك الفتاة التي فرغت مني أكثر من فرغها من العاصفة؟ أين
الفتاة التي كانت تخاف الماء وترتعد نظراتها وهي تغطي ظهر الجروادة؟ أين هي تلك
الفتاة؟»

صاحت كولي، قائلة:

«كانت شديدة الخجل... شديدة الفزع من معارضتك، ولكنها كثرت الآن. هل
تتوقع منها أن تظل محصنة ضد مشاعر الكراهية والمرارة والمقد التي تعيش في
أرجاء هذه المزرعة؟ حسناً... أنا أكرهك الآن، أكره الأسلوب الذي اتبعته
لاستغلال، أكره الثقة التي وضعتها فيك، ولتعلم يا جيس أنني أصبحت
الآن جشعة أرغب في أن أكون مطمئنة لذاتي من دون أن يكون هناك ثمن
لرواجي اعتقد أنك لم تتخيل أنني أستطيع البقاء في الصورة التي رأيتها أول
ليلة التقيته»

قال والكلمات تخرج بصعوبة من بين أسنانه

«كلا... لم ألتصّر أن تكون لديك القدرة على الثوب فوق العشرة التي تعرض
طريقك؟ كنت حامية السلام... أليس كذلك؟ ولكن أراج الحمام لا تقام للناس.
أريد منك أن تفكري بروية في الحديث الذي دار الليلة، وستستقرين لي فيما
بعد».

قالت كولي غاضبة:

«إذا كنت تفكر في أنني سأزحف البلد لأقدم لك اعتذاري، فأنتي...»

عندئذ قاطعها جيس وشرر الغضب يتظاهر من عينيه، قائلاً:

«لا حاجة بك لأن تقولني المزيد الذي قد تعتز به عنده... سأعده الآن إلى المنزل
لأقوم باعتذار صغير مع بن، أنتي أراك في حالة لا تؤهلك الاشتراك في حفلنا.
لذلك لن أطلب منك الانضمام إلينا، طابت ليلتك يا كولي، ولتعصي بأحلامك
الوردية».

وهو جيس رأسه في كبرياء قبل أن يجلسي تدريجياً في لجة الظلام وقت أن

تدفعه، أن تؤذيها كما أذلها، لكنه رجل عنها في كبرياء. وهو واثق بأنها ستجري
وراءه لتعثر له... لن نعمل ذلك حتى الرمن الأخير في حياتها، ولا أهدية لحبها
له فإنها لن تطلب غفرانه من أجل الكلام الذي تظنت به هذه الليلة.

وسمعت ذاتي يتأجج:

«كولي... ماذا تفعلين عندما أخبرني جيس أنك لن تأتي للاشتراك في
الحفل».

قالت كولي بصوت يكاد يتم عن اضطراب عواطفها:

«هذا صحيح».

مرت سحابة من العيون على جبينه، وعيناه تسألانها في خفية:

«هل يمكن... يجب أن يشهد الجميع الحفل».

قالت بصوت مضطرب:

«وهذا تماماً سبب عدم وجودي هناك...»

هو ذاتي، رأسه وهو يحدق في شقيقته، ثم قال:

«كولي... لم أعد أفهمك، لماذا وصلت إلى هنا، كنت الوحيدة التي تبايع عن

حقوق جيس. وفي هذه الليلة التي يعلن فيها العم من نتيجة جهوده،

تزوون هنا كالتفلة التي انتزعت منها صمتها».

تخسرت الكلمات في حلقها آنذا وأخيراً استطاعت أن تقول:

«أنت لا تعرف القصة كاملة يا ذاتي».

فاطمةا وهو نال الصبر

«وأت... لماذا لا نحاولين إلغاء الضم لاستتير به في معرفة حقيقة الفوضوعة؟ ترى

ما هي الثقة الميئة التي تطوف برأسك؟»

اضطربت شفتها السفلى، وتلاحت أنفاسها، وهي تحاول أن تمنع عباراتها عن

التدلق، وأخيراً قالت له:

«كف عن قنيل دور الأخ الأكبر، لم أعد في حاجة إلى ذلك».

اشتعلت عينه بالغضب الذي ثار في أعيناه لدى سماعه كلماتها فقال لها:

وأظن أنك بحاجة إلى ركلة سريعة تلقى بك في مكان يناسبك...

ثم استدار ليسير في اتجاه المنزل. فصاحت كولي تناديه:

«داني... داني... أسفة، لم أقصد أن أزعجك».

تردد قليلاً قبل أن يستدير نحوها ويقول:

«لا أظن أنك كنت تلصدين إليّ... ولكنك أنت على صواب. فقد أصبحت

الآن فتاة كبيرة، وحين الوقت لتعاني مشاكلك بدون الاعتماد على ذراع أحد.

طابت ليشتك».

أخدت كولي تلككف دموعها، وهي ترى أخاها يسمى نحو البيت. إنها

تعرف جيداً كيف تتصرف!

«توني... ماذا تفعل؟»

قال لها بصحة:

«كثيراً ثرين يا أميوتي».

وواصل حشو ملبسه في الخلفية بدون أن يتطلع إليها، فبالتة له:

«هناك راحل... أليس كذلك؟ إلى أين أنت ذاهب؟ لماذا ترحل؟»

شرح يسير نحو الباب، والحرارة تكسو وجهه، ثم قال لها:

«أصبح أحدهم يدبر الآن المشككة والقلعة، لن أبقى لأقوم بدور الأجيء».

اثبتت لشفاه فوق كلماته. بينما قبضت أصابعه النحيلة على فتن كولي

ورفع رأسها المتجهم لتلتقي ببصره. ثم أسترده يقول:

«أنت تعرفين يا كولي... أنت لا تستمتعين بعينين كبيرتين فقط، ولكن لك علم

واسع أيضاً. إن الثور الذي قمت به أنت و جيس قضى على وجودي هنا في

المزرعة. كنت أفتح بحة كبير في حياة أبي».

ثم أطلق توني ذفتها من قبضته، فتمتعت فائقة:

«لاعلم لي بالوضوح الذي تحدثت عنه».

تركها توني وعاد إلى سريره ليتم وضع يديه ملبسه في الخلفية وعندما فرغ

منها أطلق الخلفية بغضب. ثم قال لها:

«واصل ألابيك الصغيرة... ولكن لا تتوقعي مني أن أصدق أنك لم تكوني

وراء المظرة الأخيرة التي ألقاها بين... أيدي عني، لقد سببت لنا كثيراً من

الألام منذ وصولك إلى هنا».

انتهاب الاضطراب، وأسرعته أبتعد عن الباب وقد ألقاها الأزرقاء - المر الذي

شاب صوت توني عندما طردها، وشعرت بخطر أنها لثيلة تهبط فوجات السلم،

وترددت قليلاً عندما وصلت إلى نهاية الدرج. إذ كان طعام الاقطار في انتظارها

لكنها لم تكن تشعر بأي جوع.

سارت نحو الشرفة، وهي تدس يديها في جيبي سروالها، وراحت تشجول بلا

هدف عندما سمعت طرفاً على زجاج إحدى النوافذ. فتطلعت عبر الزجاج، قرأت

بدأت قطرات المطر تصاقط على أفريز النافذة كأنها تقدم لمحبته إلى كولي...

وهي تستلطف من تومها بعد ليلة لليلة لم يمسس لها فيها جن، إلا قليلاً. وكان

الصباح دافئاً، ولم تشرق فيه شمس النهار، كما أنه كان يعكس موجة الكتابة

التي امتلأ بها صدرها منذ صباح اليوم السابق. وراحت تحب نفسها من تحت

الأغطية بصعوبة وهي تتطلع غابة إلى الرعد الغامض الذي أخذ يلطم زجاج

النوافذ. وتوجهت إلى أحد الأكراج، وتناولت سروالاً من الجينز دسّت فيه

ساقها وجذبتها حتى غطى وسطها، ثم ارتدت قميصاً أصفر اللون. وتناولت

الشط وألقت نظرة سريعة على أنابيب مستحضرات التجميل، ولكنها هزت

كتفها باستخفاف وأعرضت عنها وفكرت: من سيهشم لذا لم تصبغ وجهها

بالساحيق؟ وانفلتت خارجة من غرفتها في طريقها إلى الصالة، حرّت بالياب

الفتوح لفردة توني فتوقفت عن السير، ولقدشها بأنه يلقى ملبسه في حنية

مفتوحة.

سأته مأخوذة.

بن يلوح لما ويدعوها للدخول. وحاولت أن تبحث عن علو ينقلها من
ملايلها. ولكن جهودها باءت بالفشل فاحسست وهادت لتعب العسالة وتدخل
المكتب. فاستقبلها قائلاً:

«أنت بالتأكيد شعاع شمس هذا الصباح...»

بأدبه قائلاً:

«ولكن الجو غير مشمس في الخارج.»

«كنت تلومين من عموماً... ولكن يبدو عليك الآن أنك لم تعودي تكترين بها. بل
أصبحت لديك الشهادة على التجول في الشرفة بدون حذاء.»

تطلعت كوكي إلى الأفق. فزات السماء طليقة بالغيوم. وكأنها تعكس
عواطفها الغامضة التي امتزجت بمرارة الألم. ودموع الأحياء الذي اجتاحتها.

قالت له:

«لعل المطر يغسل الأثقال التي لحقتني من عائلة سافج.»

سألها بن:

«هل تناولت طعام الإفطار؟»

وعندما هزت رأسها بالنفي استطرده يقول:

«المعدة الحاربة تجعل الشان حاداً. كمدة شهوتها إلى الطعام.»

قالت له:

«لم تنادني لتناقشني في عادات الأكل.»

قال بصوت غامض:

«طبعاً... لكنني دعيت عندما لم تشركي في الحفل ليلة أمس.»

ضحكت بمرارة. وقالت:

«لا شك أنه كان حلاً من نوع خاص. لأنني رأيت. لثري توني في غرفته بعد
حقيقته للرجيل.»

«لا تحاولي تغيير دقة الحديث يا فتاتي. أسألك سؤالا محذواً.»

قالت كوكي بأدب:

«ألا تظن أن تسألني يحتاج إلى اجابة؟»

ورفع بصرفها على يديه. لرأت البيضاء بكسوها من طول تشبهه بغيرض
اللقعد. وفي الحال تذكرت المناقشة الأخيرة التي دارت بينهما... فاستسلمت

سريعاً... وتنهدت لموقفها. وقالت:

«لم أحضر حفل الأسم. لأنني كنت أرغب في مشاهدة حفل كبير.»

تألفت الحيرة في عينيه. وقال:

«ولكنك كنت أنت الشخص المطلوب طوال الحفل.»

سألت كوكي: «وقتها لم أجدك وهي تكبح جماح دموعها لتلا تسلي على
خديها.»

«ولكنني حتى ظننت منك أن تشعري لي زوجاً.»

اتعمقت تقطيعه لوق عينيه. ورأت ما يشبه الشعور بالذنب. يسبق اجابته.

حيث قال لها:

«ألا أفرى عم تتحدثين...»

فأثارت له وهي مشفلة عليه:

«أضربت بعض الوقت من ليلة الأس مع جيس. فلا داعي لأن تبدو بريئاً.

لاني لا أتوي الزواج منه...»

تألفت نظرات الضفر في عينيه. وقال:

«ألا تتزوجينه. هل طلب يدك ليلة الأس؟»

أجابته كوكي:

«ليس تماماً. لم أتبع له القرصة.»

ابتسم الكهل البسامة مرحاً. أثارته كوكي وكأنه يشم نفسه. ثم قال لها:

«أوه... لم تتبعي له القرصة لشرح لك الأمور... هاهنا... هاهنا...»

بلدت كوكي جهداً يائساً لتغلب على أعصابها المضطربة. وأخيراً قالت:

«ليست هناك أشياء تحتاج إلى توضيح. ألح إلي أن أذمي وجرد عقلية بيتنا لادخال
السرور إلى قلبك. ولكنني رفضت.»

قال بن
أمر طبيعي.

يدا عليها الارتباك. ثم قالت له.

«لا يبدو عليك الارتجاج من حديثي».

«وهل هذا مطلوب مني؟»

قالت متلعثمة:

«أجل... أعني... ظننت... أليس هذا هو المقروض من...»

سأله.

«كان لدي احساس بأنك كنت تلقين عند مكتبي صباح أمس... أليس كذلك؟»

ولما هزت كولي رأسها بالإيجاب، استطرد بقول:

«وأتأكد سمعت جانباً من الحديث الذي دار بيني وبين جيس، أليس كذلك؟»

وعادت كولي تهز رأسها بالإيجاب ثانية، فأردف بقول:

«أوه، كولي، لا يفوز المرء بنتائج طيبة بالاستماع من ثغوب أطفال الأيواب».

«ولكنني سعيدة بما فعلت يا عمي... بن... كيف استطعت أن تقدم المزرعة هذه

لجيس إذا رضي بالزواج مني؟ ألا تظن أن لي كيرباني؟»

واستطاع الكهل أن يحتفظ بالإستقامة على وجهه، ثم قال:

«يمكنني القول بأن لك كيرباني مثل أي فرد من أفراد أسرة سالدج، أما أن أجعل

هذه المزرعة لجيس رهناً بموافقته على الزواج منك، فأظن أن ذلك كان مجرد

اختيار له. كان يجب عليك البقاء حتى ينتهي الحديث كله. وعندئذ كنت

ستسمعني إلى رفضه قبل المزرعة على أساس هذا الشرط لا يا كولي...»

وقعت على تنازلي من المزرعة له، بلا أي شروط تتصل بك من قريب أو بعيد.

ولفت كولي مبهوطة، مشدودة، وعندئذ استوعبت معنى الكلمات، تهلوت

متهاككة على مقعد وثير، وانفلتت إلى بن. وقد انحرقت عينها بالدموع.

وقالت:

«ملأنا فعلت يا ربي؟ ذلك الكلام الرهيب الذي قلته له ليلة أمس... أوه عمي

بن... ملأنا أفعل الآن؟ اتني أحبه كثيراً...»

قال وعلى شفاهه ابتسامة رقيقة:

«الشيء الذي فعلته أنا بالأمس... اعتذري له وأخبره بأنك كنت حمله...»

بارقة أمل تراقبت أمام عينها عندما تذكرت كلمات جيسون التي قالها

ليلة أمس الأول بأنها ستأتي إليه، وتقدم له اعتذارها.

سألت الكهل وهي تزهد كبريائها:

«أين هو الآن؟»

كذلك الكهل بدوره دمعه وراح يتطلع عبر النافذة، ثم قال لها:

«أنت تمرلين في مثل هذه الأحوال الجوية... انه يجمع اللطيف الشارد حتى لا

يدعه القيضان».

زحفت كولي من مقعدها والدموع تبال خديها، واندفعت تجري من الغرفة

و بن يحرك مقعده وراها وهو يعطيها تعليماته:

«من المحتمل وجوده في القطاع الشرقي قرب جبل الصخرة الزرقاء. اختصري

الطريق عبر المراعي المنخفضة، يجب أن ترتدي معطف المطر».

وكانت قد أغلقت الباب وراها قبل أن تسمع عبارته الأخيرة. وأدرك أنها

متينة بحب جيس لأنها لم تلاحظ هطول المطر، فأسرعت تجري بدون أن ترتدي

معطفاً، ودفع بن مقعده حتى بلغ الشرفة. وبعد دقائق رآها تغطي جواردها،

وراحت تلوح بيدها للكهل قبل أن تندو تحت وابل المطر.

وأخذ الجواد يقطع المرعى عدواً، وكانت الريح تلعق وجهها... وفطرات المطر

تسلع وجنتها، ولكنها لم تكتسرت لأي شيء... ثم وجدت الأرض بدأت في

الاعتدال بشدة وراأت أن تحاطر بجواردها ميستي وهو يرتضي الشلال. وفي

مواقع أخرى كانت الأرض موحلة، تماماً كالليلة الأولى التي جادت ليها إلى

المزرعة.

أوقفت ميستي وراحت تبحث عن جيس في المنحدرات التي تحيط بها.

وفي الأراضي المنخفضة، وأخذ الجواد يهز رأسه عندما بدأت الأرض تهتز تحت

قدميه، ويفرغ من أصوات الرعد المدوية، فحاولت كوكي أن تهدئه من روعه. وفجأة تذكرت أمراً انتهجت له. وتذكرت الكوخ... انه مكان قريب من هنا. ولا بد أن جيس سيغولف قليلاً هناك. انه المكان المفضل لديه.

دفعت الجواد بجوارها. واستحثته على أن يخترق مَشْرِق السلال عبر الماء الجاري. وأن يطوي الغلال طياً، ويحجاز الوديان عدواً، حتى لاح أمامها الطريق العام. فبدأت تخطى من خطو جوادها على الأرض المنبسطة، حتى بلغت السهل الواسع المنبسط الذي سارت فيه منذ زمن بعيد عندئذ أرخت العنان. وأطبقت يديها على السرج وثبتت به عندما بدأ الجواد يرتلي منحدرًا. وقد توترت عضلاته في كل خطوة حتى بلغا قمة المنحدر. وبعد لحظات لاح لها الكوخ محيطة به سحب الصباح الدائكة. وشريط الدخان يمزج بالسحب والأمطار. وفي الحال أطلت كوكي صرخة فرح. وضربت جوادها بالليجام تستعنه على العود.

كان الجواد الأحمر الذي اعتاد جيس أن يمتطيهِ يقف أمام الكوخ. وعندما بلغت كوكي المكان تجلّت عن جوادها بسرعة، وربطت الليجام بجوار جواد جيس. ثم أسرعَت تفتح الباب ودخلت الكوخ وفطرات الطر تنهر منها. وعندما توقفت تلفظ أنفاسها، أخذت عينها تبحثان عن جيس، فرأته يسكب لنفسه قنداً من القهوة. وفجأة أحست بالحجل والخوف. ترى ماذا ستقول له؟ ومن أين تبدأ حديثها؟

وضع جيس الفدح ودار حول المائدة. ثم قال لها:

«ماذا تفعلين هنا؟»

اندفعت الكلمات من فمها سريعة، وهي تقول له:

«انتي أسفة... انتي مخبطة... انتي حقاء... يجب أن تغفري. ما كنت أقصد أن أقول لك هذا الكلام الزهيب. أغفري... من فضلك، أغفري...»

حدث في وجهها. ثم قال لها بنية ساخرة:

«امتطيت جوادك. وقطعت كل هذه المسافة لتقولي بأنك... في مثل هذا الطقس؟»

«طبعاً... ألا تلهي يا جيس! عني بن شرح لي كل شيء... سمعت لفظ جانباً

من حديثك. ظننت أنك تسارعه على الزواج مني...»

وجاهدت كوكي لتعثر على الكلمات التي تساعد على لهم حقيقة الموقف. لكن سعادتها بدأت تنبخر... في كل ثانية تمر وهو واقف أمامها جامد الملامح... وأخيراً قال لها:

«والآن فهمت أن الموقف كان مختلفاً. ماذا علي أن أفعل! أغفر لك؟»

أجابت كوكي لاهثة الأنفاس:

«أجل... ظننت أنك تريد الزواج مني من أجل حصولك على المزرعة وليس بسبب اهتمامك بي.»

«مالك لا تظنين أنه السبب الآن؟»

قالت متلعنة والدموع تتأرجح من عينيها:

«لا... أقصد... لا أعرف...»

«ولا أذكر أنني تقدمت لمخاطبتك ليلة أمس...»

فمسكت بأهداب كبرياتها وقالت:

«كلا... ولئن أطلب الآن ذلك... كل ما أريد أن أعرفه هو أنني أسفة، يمكنك أن تعود إلى قفارك ثانية...»

واستدارت. وحاولت معالجة مزاج الباب ولكن جيس أمسك ببلعائها وجذبها نحوه. وهو يقول ضاحكاً:

«كوكي... أنا لا أريد ثانية.»

صاحت كوكي قائلة:

«عني أرجل...»

وحاولت أن تتخلص من ذراعيه. لكنها التصقت به عندما احتلها بشدة. ثم رفع ذلها بيده فراحت تنفخ في سلاخه وتهدق في وجهه. فقال لها باستماعة رقيقة:

«هل أدركت يا كوكي كم كنت قاسية وعينة ليلة أمس. لم فتحتني الفرصة لأشرح لك. والآن يا عزيزي، انني أصيبك حياً بما لدرجة انني أغفر لك كل شيء.»

لم أنتد تاتيا يوماً، ولما كنت أريدك أنت..
وعندك مال برأسه، وعانقها برفق، وما لبث أن التفت ذراعها حول عنقه
وتهدت وألقت برأسها على صدره، وقالت له:
«أوه... جيس... قل لي ثانية... أنك تحبني»
وأحبك، فمنذ الليلة الأولى التي التقينا فيها، انبأني احساس بأنك ستغيرين
حياتي، وحاولت أن أبعد نفسي عنك، وبذلت جهدي لئلا تكتشفي شعوري
تحولك، ولكنك لم تتركتني أغيب عنك»
ثم راح يهد خصلات الشعر المبللة عن وجهها بيد مرتعشة فقالت له:
«كرهت عمي عندما عرض عليك المزرعة مقابل الزواج مني. كنت أعرف مدى
رغبتك في الحصول عليها، ولم أدرك كيف تقاوم مثل هذا الاغراء»
لمس شفتيها بأصبعه، ثم قال:
«وأحببتك حباً كبيراً... وكنت أعرف أن قبول عرسي معناه أن يضع ثعباناً لهذا
الحب. وهذا يعني أنه سيتطلب هذا الحب»
«أوه جيس، ماذا فعلت حتى أستحق حبك؟ انني لا أعرف كيف أظهر أو أعبك
الملابس أو اعتم بالزهور... كما أنني لست جميلة»
«كرلي، أنت ملأت أيلم الكهل بالبهجة، وجعلت قلب امرأة عاقر ملعماً بالحب،
أنت وهيت نفسك لها وسوف أدلك طوال حياتك»
قالت له:
«أرجو أن يكون لأطفالنا عيون زرقاء مثلك...»
ولم تواصل كلامها أو راح يضمها إلى صدره، وعندما تخلصت من بين
ذراعيه، سألته:
«لماذا لم يرب رأيه»
«لأن السبب... وكذلك الحوار الذي دار بينكما، لا بد أنك قلت له شيئاً جعله
يغير رأيه، على الأقل في الفترة التي تفصل بين حوارك، والحوار الذي دار بينه
وبين توني»

وتشابكت أصابعه وراء ظهرها، وراح يحقن فيها بنظرات كلها دفء وحرارة،
وسمعها تقول له:

«رأيت توني هذا الصباح يحزم حقائبه، ترى ما السبب الذي دفعه إلى الرحيل؟»
«لم أبحث بدقة عن السبب، ولكن لدي احساس بأن من أدرك أن توني
كان موجوداً ليلة مصرع ريك، والشيء الوحيد الذي يردده من الآن أنه ما
كان يجب عليه أن يصدر حكمه بسوسة في الفترة السابقة وأنه لن يحاول إصدار
أحكام مثلها مرة ثانية».

وشرعت كولي تقول:

«هل تقصد أن توني كان...»

ولكن جيس رلع يده، ووضعها على فمها ليسمعها عن مواصلة الكلام
ولعشها بدأت الأمور تتضح في عقلها. عندما تذكرت صيحة توني ذلك
اليوم الذي قضته معه في الوادي... ولد أقبل متدفعاً نحوها ليقول لها:
«أخوتي أن تصابي أنت أيضاً في حادثة...»
وعندما روت ذلك لجيس، قال لها:

«صمتاً... الشاعر الأليمة لها صلة بالناضي وأنا متفق مع من يأنى تصفر
أحكاماً عشوائية. هل تعتز أن ثيابك مثلاً؟ وأنتي قد أصبت بالبلل بدوري؟
يجدر بك أن تتناولي قليلاً من القهوة، وسأحضر لك بطانية. لتدثري بها حتى
تبعث الدفء في جسمك».

وتبعته كولي حتى بلغت الطاولة، وتناولت فنجاناً من القهوة وسار ليحضر
لها البطانية، ووضعها حول كتفها، ثم سألت:

«ألا تبدو الآن صورتنا مضحكة للغاية؟»

«صمت كولي البطانية حول جسمها، ثم قالت:

«حطاً ما تقول. لا أدري ماذا ستفعل البطانية مع هذه الملابس البتلة التي
أرتديها تحتها، في حين أنك أمرتني في المرة السابقة، وكنت غريباً، بأن أخلع جميع
ملابسي المبتلة قبل أن أضع البطانية فوق جسدي».

ضمها جسي... هي والبطانية الى صدره واحتواها بين ذراعيه ونظر في
عينها بوله ثم هس في لونها قائلاً:
«لن اطلب منك أن تخلي جميع ملايك هذه المرة يا كولي، لأن ذلك يحتاج
مني الى طاقة كبيرة من ضبط النفس... ولن تفعل ذلك حتى لو طلبت منك... أنا
صاحب أرض سافدج...»